18ème Année No 905 — Le Caire 6 - 11 - 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٠٥ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٥ محرم سنة ١٣٧٠ — ٦ نوفمبر سنة ١٩٥٠» — السنة الثامنة عشرة

الأزهر في طوره الجديد

إصلاح الأزهر كلمة تناقلتها الأفواه منذ استهل هذا القرن، وكان المطالبون به يومئذ كالمطالبين بالدستور، أمانيهم عامة لا تريد ووراءهم عامة لا تني. والشأن في إصلاح الدين عن طريق الأزهر، غير الشأن في إصلاح الدنيا عن طريق البرلمان: إصلاح الحكومة زعامة يقوم بها فرد قوي أو حزب كبير، وإصلاح العقيدة إمامة لا يضطلع بها إلا رجل هو سعة وقوة حجة ورأيه قوي. وكان الإمام الذي دعا هذه الدعوة أول الناس حسبا أن ينهض بهذا الإصلاح لولا أنه كان من سياسة العصر على حد متيكب. والجامع الأزهر وقصر الخلافة بناهما جوهر الصقلي من حجر واحد في آن واحد؛ لذلك استطاع الخديو أن يخفت صوت الحق في جلبة شانئيه ومناوئيه من كبار الشيوخ. ولكن دعوة الإصلاح الديني كانت من عظات الأستاذ الإمام غارس عليها مريدوه، وتظاهر بها مقلدوه، فكانوا يديرون بها ألسنتهم بين الحين والحين تشبها بالإمام أو تزعما من الجمود، حتى انفرجت مسافة الخلف بين قديم الأزهر وجديد العصر، فلم يكن بد من شعور الأزهريين بتخلفهم عن ركب الحياة؛ فجأروا بالإصلاح، وانضووا إلى لواء المراغي في مشيخته الأولى، ورسمت خطة الكفاح للإصلاح. ولكن أولي الأمر لم يباركوا هذه الحركة، فطوى اللواء وعزل القائد وتفرق الجند. ثم أخذ الأزهر ينمط من الإصلاح بمجيب: جدد في الشكل دون الموضوع، وقنع بالقشر من اللباب، وعني بالكم لا بالكيف، وامتحن في الفروع لا في الأصول؛ وكاد الأزهر يصبح محلا من هذه المدارس الثانوية، همه أن يخرج لا أن يخرج. وضيع الشيوخ حفاظا على أقدم الجامعات وأقدسها فطالبوا بإصلاح الإصلاح. وكان الذي تولى زعامة هذه المعارضة الشريفة الإمام عبد المجيد سليم.

فلما تقلبت الأوضاع والتفت الأمور وعاد الإمام المراغي إلى مشيخة الأزهر انتعش ما ذوي من الأمل، وقال الناس إن الوسائل قد تهيأت كلها لخليفة الإمام ليصلح الأزهر: فالقصر يسنده، والحكومة تعضده، والأمة تؤيده، والأساتذة والطلاب يلقون إليه القيادة ويحملونه الأمانة، والشيخ عبد المجيد وشيعته يخلصون له النصح ويشاركونه التبعة. ولكن المراغي لأمر يعلمه الله أراد أن يكون صاحب سياسة، فاستصحب الدارة وآثر العافية ونقي الأزهر في انتظار المصلح، تتعارض في جوفه التيارات المختلفة، وتتقاذفه على ساحله الرياح النُّكب. وكان هذا المصلح المنتظر قد هيأه الله بالفطرة، وجوده بالسنة، وادخره لهذا اليوم، وأقامه على مقربة من (عين شمس) فكلما خلا كرسي المشيخة لهجت بذكره الألسن، واتجهت إلى مثواه القلوب؛ ولكن السياسة مشيئة كمشيئة القدر تطغى على كل إرادة، وتنبو على كل منطق!

وأخيرا أراد الله لكلمة (إصلاح الأزهر) أن تجد معناها الصحيح الصريح بعد نصف قرن، فأتاح الفرصة لتتولى تفسيرها ذلك المصلح المنتظر وهو الشيخ عبد المجيد سليم ...

(للكلام بقية)

احمد حسن الزيات

إبراهيم عبد القادر المازني

للأستاذ حسني كنعان

من حق الرسالة أن تعتب على حملة الأقلام وملوك القول في مصر لتقصيرهم في «مناوية» المازني، ومن حقنا هنا معشر السوريين الذين عرفنا الفقيد حق المعرفة أن نشارك الرسالة في هذا العتاب واللائمة؛ لأن للمازني الخالد الذكر له في ربوعنا تلاميذ ومدرسة، فالمعجبون بأسلوبه والمرتشفون مناهل ينابيعه والمترسمون خطاه كثر بين ظهرانينا.

وقد لمع نجمه في بلادنا منذ عهد مجلة السياسة الأسبوعية التي كان يصدرها حسين هيكل بك، ورأسه الصائبة في زيارته المذكورة لبلادهم، ويشكرون من هذه الصولات القلمية التي دافع بها عن أوطانهم يوم كان النير الفرنسي يجثم على أعناقهم، وقابلات من حقهم مشاركة اللائمين في تقصيرهم بإقامة حفلة لإحياء ذكراه وإن كانت ذكراه حية شيان في آثاره الأدبية وكتبه المنتشرة في كل قطر عربي ... إن من حق الصحف العربية في جميع أقطارها أن تملأ صحائفها اليوم بذكرى جاحظ مصرنا الخالد الفقيد المازني وتعدد مناقبه لساته على لغة الضاد من بيض الأيادي، وأن الأقلام العربية على غزارة مادتها وتنوع مناهجها لم تشهد منذ عهد الجاحظ كاتباً ملك من أسلوب الصياغة وإشراق الديباجة مثل الذي ملكه. فهو عبقري في فنه يتناول أبحاثه بأسلوب الساخر المتهكم، فيحدث من هذه الناحية في خصوم خصومه جراحات دامية يصرعهم صرعا؟ ويدق أعناقهم دقاً بأسلوبه اللاذع المر، وإلى هذا فإن من أدبه الجم من أي النواحي أتيته لمادة قوية جديرة بأن يكتب منها إحياء لذكرى، وإني شخصياً على شدة هيامي بأسلوبه، وحزني على فقدانه لم أجد ما أتوجه فيه بهذه «المناوية» سوى ذكرى زيارته الأولى لدمشق سنة ١٩٤٣ وذكرى تشرفي بمعرفته، إذ ما كاد يذاع وقتئذ في عاصمة أبناء عبد شمس النبأ الهامس خبر قدوم زعيم الثورة الأدبية وحامل لوائها حتى خف أدباء العاصمة ومتأدبوها شباباً وشيباً لمقابلته والتعرف عليه، وكنت بين هؤلاء الذين سعوا إلى النزل لزيارته. فأول ما تبادر إلى ذهني قبل رؤيتي الرجل أن سأرى مارداً من مردة الجان لكثرة ما كنت أسمعه عنه وكثرة تحدث الناس من أدبه الجم وأسلوبه العجيب، فقلت في نفسي لعل هذا المازني الذي نسمع به ونعجب بشهرته الأدبية الواسعة يكون على عظم هذه الشهرة أضخم من عرفنا وأطول وأعرض ممن رأينا في حياتنا من البشر.

دخلنا النزل ونحن جد مشوقين لرؤية الأديب الكبير، فسألنا عنه أحد عبيد النزل فأشار إلينا ذلك العبد الذي يشبه قمة الجبل بطرف مرفقه إلى إحدى القاعات، فدخلناها، وما كدنا نضع أقدامنا في وسطها حتى شدهنا وأخذنا بدهشة الداخل الراتب، وما لبث أن هدأ روعنا عندما أبصرنا عصبة من الأدباء الذين نعرفهم متكوكبين حول رجل ضئيل عاو هزيل؛ وعلى مقربة منه من المسلمين عليه الدكتور إبراهيم الساطي المرحوم وهو ضخم كما ترى، وكان من المعروفين بالبدانة وضخامة الجسم وثقله، فسألت الجالسين أين هو الأستاذ المازني؟ فأشار من جانب الدكتور الساطي رجل نحيف قمي، لا تكاد تحمله قدماه لنحافة جسمه ثم ملامح وجهه ورونق جبينه على ذكاء حاد وفطنة متوقدة، قد بدء مسلماً علينا قائلا:

أنا ذا هو المازني بقضه وقضيضه، ونحشه وقفيفه، وعجره وبجره. فضحك من في القاعة حتى استلقوا على ظهورهم، فاستحييت ومن معي من الرفاق وتمنينا أن تميد علينا الأرض، ثم انطوينا على أنفسنا وهممنا بالعودة من حيث أتينا ظانين أن القوم يسخرون منا ويهزءون بنا، فعودة وجهي الذي ما رأيته محوراً طوال معرفتي به من جراء هذه القنيا غير المنتظرة، فأشفق علينا بعض الحاضرين وتلطف قائلا:

لا تخجلوا يا إخوان مما تقيتموه وسمعتموه، فهذا هو المازني

كما تعرفونه، وهذا هو شأنه من الدعابة إن جداً وإن هزلا .

هكتمت أمراً في نفسي وأزمعت الانتقام ، بيد أني جاست أخيراً كأنما في نفسي مع الجالسين أسمع طرف الرجل الأدبية ونوادره . وإني والحق أقول ما رأيت — وبشي سي ـ منظراً أو في نفسي مثل منظره جالساً على يمين حبيبه الدكتور الساطي انجاقته وقصر قامته ؛ وبدانة ذاك وضخامة جسمه . فسبحان جامع الأضداد وشتان في الأجسام ما بين الإبراهيميين .

جاست في الحلقة وكان فيها فرجة ضايقتها ، وحملت أحدق بالحتي به وأنا في شك من أمره . أهذا هو المازني بعينه صاحب حصاد الهشيم ، وقبض الريح ، والرحلة الحجازية ، وخيوط العنكبوت ، وإبراهيم الكاتب ، وغيرها من المؤلفات والروايات الكثيرة والقصص الرائعة ؟ أهذا صاحب الأشعار الرقيقة ورئيس تحرير السياسة والبلاغ ؟ أهذا هو المطل بين كتاب الرسالة ؟ فإن كانت هذه مؤلفاته وهذه كتاباته وهذه شهرته يجب أن يضارع على الأقل حبيبه الساطي بضخامة جسمه ؛ ويوضع عداد طوله الفارط ، وعنترة بن شداد أخا عبس بشجاعته وقوته . إن قاماً كبيراً من قراء الأدب ومانحاً عظيما من فاتحي القلوب يجب أن يضمه جسم غير هذا الجسم إذا قيست عظمة الأعمال بعظمة الأبدان ... حقا إن المازني يعد بكبير عمله مع ضآلة جسمه من الأعاجيب . قلبت يومئذ صور الأشخاص الذين أعرفهم والذين وقع نظري عليهم عساني أرى لهذا المخلوق العجيب شبيهاً من الصور التي أعرفها ؛ فتمثلت أمامي صورة الشقي الفلسطيني المعروف المسمى « أبو جلدة » [1] فقلت بنفسي ما أشبه هذا بذاك . فكتمت مقالا الانتقام بهذا التشبيه ودفعته للمازني بعد فضحك رحمه الله كثيراً وكان المقال طريفاً للغاية جاء في بعض فقراته .. أجل إن المازني يشبه أبا جلدة في وجوه عدة مهما تفصل من هذا التشبيه ، وأخذ الألوان والأصباغ لهدوا من نفسه هذه التهمة .

فذاك كان مليك الصحارى والقفار ، ومخيف السلطات في جبال النار ، وهذا مليك الأقلام وصاحب الدواوين والصاولات الأدبية الخيفة . ذاك كان سارق الجيوب وقاتل النفوس ومزعج السلطات والإنطاعيين البخيلين ، وهذا سارق العقول بأساليبه الغريبة ، وخالب الألباب ، وقاتل الدجالين من المتأدبين بنقده المرير ، ومزعج الأدباء من خصومه بتهكمه المرير ومنجله الحاصد . فويل « لخفافيش » الأدب من هذا المنجل المخضب ، وويل للدجالين من هذا القلم الجموح الخالق المبدع .

ولقد كنا نسمع بأعمال أبي جلدة عن بعد فنعجب به ، ولما انكشفت لنا حقيقة جسمه وضعفه وحراله ازددنا به عجباً لصدور هذه الخوارق من رجل هزيل مثله .

كما أنا كنا نقرأ كتب المازني ومقالاته فنعجب بها ونقدره ، والآن قد ازددنا سروراً وعجباً عندما أبصرنا أن هذه الفتوحات الأدبية تقوم على جسم نحيل منتبل كجسمه . فيا لله ترة أبنائه وأما حلت به وأرضته تدليهما ، فلقد فتح لنا بأسلوبه التهكمي ودعابته الجميلة طرقاً في الأدب لم تكن من قبل معروفة في لغة الضاد منذ عصر الجاحظ ، فإنه « جاحظي » في أسلوبه وسخريته وكتابته ؛ لذا نهوقين بزعامة الأدب في هذا العصر ، وحق له التتويج والخلود .

وبعد فإني لا أجزع على نفسي مما إذا مت الآن ، لأني بلغت أمنيتي ورأيت المازني الذي عشقته منذ سومة أظفاري وهمت به . ولما تقدمت إليه بالمقال دسه في جيبه بعد أن نظر نظرة خاطفة إلى عنوانه الذي جاء فيه « أبو جلدة » بيننا ولا ندري فضحك وقال : نعم التشبيه تشبيهك ؛ وقد علمت فيما بعد أنه كان المقال أثر بليغ في نفسه .

دمشق

حسني كنعان

---

(١) كان هذا الرجل حديث العالم العربي يومئذ بما قام به من أعمال ضد السلطة البريطانية تحت إمرة الأقطار وكتب عنه المازني عدة مقالات .

الألعاب العربية

للأستاذ محمد محمود زيتون

— ١ —

لم يكن العرب بمعزل عن الحضارات التي أحاطت ببلادهم، بل كانوا على اتصال وثيق بها، في الأخذ والعطاء. على أن الرمال السوافي، والجبال الرواسي، والبطاح الترابية، لم تحجب عن العرب أصداء الفرس والروم والأحباش والهنود والسريان والمصريين.

ويخطئ من يظن أن العرب لم يحتفلوا بالألعاب الرياضية احتفال الرومان والفرس بها. وفي الحق أن العرب عنوا بالرياضة لا باعتبارها لهواً ولعباً ولكن على أنها تربية ذات طابع قومي، ونهج واضح، وغاية رفيعة.

والتراث العربي حافل بهذا اللون من التربية، سواء في كتاب الله، وسنة رسوله، ودواوين الشعراء، والقواميس والمعاجم، مما أضاف إلى الحضارة العربية ثروة جديدة ذات قيمة نادرة، وإن كان الدارسون منا ومن المستشرقين لم يمسوا هذه الزاوية في قليل أو كثير، إلا أنها لا تقل أهمية من مظاهر هذه الحضارة التي تعتز بآثارها في الناس.

ونذكر أولا في هذا البحث الألعاب المشهورة عند العرب ليقف القارئ البصير على مقدار نفعها البدني، وغايتها في تربية الفرد وأثرها في المجتمع، ولنا بعد ذلك وقفة عند موقف الإسلام الحنيف من هذه الألعاب التي نستخرجها من كتب اللغة والأدب والسيرة ونذكر منها:

الفائلة: لعبة لفتيان العرب يخبئون الشيء في التراب ثم يقسمونه فإذا أخطأ المخطئ قيل له فال رأيك.

الحثة: تشبه الفائلة هي أن يخفي الصبيان شيئا تحت التراب ثم يصدع صدعين ثم يضرب أحدهم بيده على أحدهما أو على بعضه؛ فإن قبض على الخبء فيه قمر.

عظم وضاح: لعبة الصبيان بالليل وهي أن يأخذوا عظما أبيض شديد البياض فيلقونه ثم يتفرقون في طلبه فمن وجده منهم ركب أصحابه.

حزاج: يمسك أحدهم شيئاً بيده ويقول لسائرهم أخرجوا ما في يدي.

الحطرة: وهي اللعب بالمخراق.

الضب: وهي أن يصور الضب في الأرض ثم يحول أحدهم وجهه ويقول: ضع يدك على صورة الضب، على أي موضع من الضب وضعته فإن أصاب قمر.

النقيري: وهي لعبة بالتراب، ويقال للصبيان يلعبون لعبة يسمونها النقيري.

المقلاء والقلة: عودان يلعب بهما الصبيان فالعود الذي يضرب به يسمى المقلاء وهي خشبة قدر ذراع — والقلة هي الخشبة الصغيرة. والقلو لعبك بالقلة وذلك رميها في الجو ثم ضربها بالمقلاء في اليد فتستمر القلة ماضية فإذا وقعت كان طرفاها ناتئين على الأرض فتضرب أحد طرفيها فتستدير وترتفع ثم تعترضها بالمقلاء فتطرحها في الهواء فتستمر ماضية — والفعل قلا يقلو قلوا.

المقلاع: معروف ويستخدم في رمي حجرة إلى مكان بعيد.

الهرهار: لعبة للصبيان أيضا.

الخذروف: شيء يدوره الصبي في يده بخيط فيسمع له دوي. قال امرؤ القيس يصف فرسه في شدة جريه:

دريرٍ كخذروف الوليد أمرّه ... تتابع كفيه بخيط موصل

الكرة: معروفة ويقال كرا الكرة يكروها ويقطها يقطها أي يضرب بها الأرض ثم يأخذها.

الطبطابة: مضرب الكرة.

الصاعة: البقعة الجرداء ليس فيها شيء، يكسحها الغلام وينحي حجارتها ويكرو فيها بالكرة.

الكجة: يأخذ الصبي خرقة فيدورها كأنها كرة فهو يكج أي يلعب بالكجة.

التوز: الخشبة تلعب بها الكجة.

الكسة: خرقة يلعب بها وتسمى الكجة.

الصولجان : المحجن وهو قضيب يثنى طرفه .

الميجار : شبه صولجان تضرب به الكرة .

المقيرى : خشبة ينصبها الصبيان يتقافزون عليها .

القفاز : لعبة يتقافزون منها أى جرائبوت .

الحوزى : أن تلق الصبي على أطرافك وجليك فترقصه — والفعل حوّزى .

البنات : التماثيل الصغار يلعب بها وهى المعروفة فى الفرنسية باسم : Les poupées .

الربيعة : حجر تمتحن باشالته القوى .

الزحلوقة : مكان متحدر عليل .

الأرجوحة : خشبة توضع على تل ثم يجلس غلام على أحد طرفيها وغلام آخر على الطرف الآخر فترجح الخشبة بها ويتحركان فيميل أحدهما بالآخر — والفعل ترجح يترجح على الأرجوحة .

الجمس : هو الترجيح والفعل جمس يجمس جمساً .

الجمرى : أن يحمل الصبي بين اثنين على أيديهما .

الثقة : خشبة مستديرة على قدر قرص يلعب بها الصبيان تشبه الخرارة .

الخرارة : عود يوثق بخيط ويحرك الخيط وتجر الخشبة فيصوت .

الطبة والطبخة : خشبة عريضة يدقق أحد رأسيها يلعب به الصبيان .

الحجورة : يخط الصبيان خطا مستديرا ويقف فيه صبي ويحيط به الصبيان ويضربونه فن أخذ منهم أقامه مكانه .

الجماح : سهم يجعل على رأسه طين كالبندقية يرمى به الصبيان .

التخاسي : الرجلان يتخاسيان أى يلعبان بالزوج والفرد يقال : خساً أو زكا أى فرد أو زوج .

الأنبوثة : هى أن يحفر الصبيان حفيرا ويدفنون فيه شيئاً فن استخرجه فقد غلب .

الدعلجة : لعبة يختلف فيها الصبيان للجيئة والذهاب .

الخوالس : هى أن يخطو خمسة أبيات فى أرض — وهو يجعلوا فى كل بيت خمس بعرات وبينها خمسة أبيات ليس فيها شيء ثم يجر البعر إليها وكل خط منها خالس .

الخزاق : منديل أو نحوه يلوى فيضرب به .

الرجاحة : حبل يعلق ويركبه الصبيان .

الجفاأ أو الجنابى : هى أن يتجاذب اثنان فيتصدم كل واحد من الآخر .

ردت الجارية : أى رفعت رجلا ومشت على أخرى تلعب .

يتبادح الصبيان : أى يترامون بالبطيخ والرمان والسكرين ونحوها

البوصاء : عود فى رأسه نار يديرونه على رءوسهم .

الخزق : عود فى طرفه مسمار محدد يكون عند بياع البسر بالنوى وله مخارق كثيرة فيأتيه الصبي بالنوى فيأخذه منه ويشرط له كذا وكذا ضربة بالخزق فما انتظم له من البسر فهوله قل أو كثر ، وإن أخطأ فلاشيء له وذهب نواه .

الضرغط : أن تركب أحدا وتخرج رجليك من تحت إبطيه وتجعلهما على عنقه .

الرهان والمراهنة : هى المخاطرة والمسابقة على الخيل .

الوهب : السبق فى الرمى ، وهم يتخاطرون أى يتراهنون فى الرمى .

الميسر : اللعب بالقداح

هذا فضلا عن الكعب والشطرنج والنرد والقامة والمصارعة والرماية والفروسية والسباحة والمبارزة والسباحة والرقص واللعب بالمشاعل والرماح والحراب مما يدخل فى باب اللعب الذى هو ضد الجد والذى هو أحيانا اللهو .

ومن مادة (لعب) اشتق العرب الاصطلاحات الآتية :

اللعبة : وهى ما يلعب به .

اللعاب : وهو الرجل الذى حرفته اللعب .

اللعب : وهى تماثيل من عاج .

تلعب : لعب مرة بعد أخرى .

ورجل تلعابة كثير اللعب . التلعاب : اللعب واللعب .

اللعبة : وهى التوب لا كم له يلعب به الصبي .

الملعب : المكان الذى يلعب فيه الصبيان

وكذلك قالوا :

برحى : للمخطئ في مرمى .

مرحى : للمصيب في الرمي

الطالع : وهو السهم الذى يقع وراء الهدف .

الشوذة : وهى خفة في اليد وأخذ كالسحر يرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأى العين ، والرجل مشعوذ .

التبرج والتبرنج : وهى الشعوذة .

وبرزت عناية العرب بسباق الخيل وابتدعوا المصطلحات الوفيرة له منها السبق والجلى كما سموا الأخير باسم السكيت وأجازوا الحائز بقصب السبق ومنحوه نوط الجدارة والبدرة وهى البدرة من المال . وقال الشاعر يصف الخيل في السباق :

ترى منا السبق والمسبوق منها كما بسطت أناملها اليدان

وبلغ من عنايتهم بالتشجيع وإفساح المجال أمام الضعيف أن قالوا : « ومنه ستبق الزود تسبق المرجاء » ليكون باب الأمل مفتوحا على مصراعيه ، وافتخروا بنشأتهم على ظهور الخيل فقالوا :

كأنهم في ظهور الخيل نبت ربى من شدة الحزم لا من شدة الحزم

فكانوا حقا وصدقا رهبان الليل وفرسان النهار .

وتعمقوا في دراسة الخيل من كل وجه فدرسوا أعضاءها وأطوار حياتها وطباعها وألوانها وفصائلها وتناسلها وألفوا في ذلك الموسوعات التي من أشهرها كتاب « جر الذيل في علم الخيل » واحتفل بها القرآن الكريم وأقسم بها رب العزة فقال في كتابه العزيز « والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا ، فالمغيرات صبحا ، فأثرن به نقعا ، فوسطن به جمعا » وأمر الله بإرهاب العدو بكل ما يستطاع من قوة « ومن رباط الخيل » وما أبلغ النبي العربي بقوله « يا خيل الله اركبي » وليس بعجيب أن يأمر النبي المسلمين بتربية الخيل وإعدادها للجهاد ناهيا عن اتخاذها لمجرد الزينة والتفاخر قائلا بعد ذلك « الخير تحت أقدام الخيل » وقد

نوه الفتى عزة الفارس بفضل الكتاب فقال :

أعز مكان في الدنى سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

وكان العرب كذلك أسبق الشعوب إلى حركة الكشف فهم الشهورون بقص الأثر والتعرف على الخصائص الدقيقة لصاحبه بمجرد النظر إلى ما خلفه قدمه على الرمل المساق أو صفاة الجبل فيعرفون إذا كان رجلا أو امرأة ، عذراء أو حاملا . وكذلك هم المشهورون بالنار وإشعالها بالليل لهداية الضال وإكرام الضيف وتحدى العدو فقالوا « نارنا منار قبركم » وجاء في الحديث الشريف « إن الرائد لا يكذب أهله . » وكانوا حراصا على تنشئة فتيانهم على المجازفة والمخاطرة فكان منهم أسود البحار الذين قويت عزائمهم كل قوة وسادت تعاليمهم كل مصر ، وحتى نعتهم رسول الله بأنهم « الملوك على الأسرة » فدانت لهم رقاب العمالقة والفراعنة ، ودانت لهم عروش القياصرة والأكاسرة وبهذا كان العرب سادة حين يغيرون — وبالإسلام سادوا أصحاب رسالة تسجل آثارها في حركاتهم وسكناتهم وتتضح بها شعائر دينهم ومظاهر دنياهم حتى أصبحوا أصحاب اللهو المشروع الذي لم يخلف فيهم أثلة من جمال الدعوة المحمدية في أقطارها البعيدة .

« يتبع »

محمد محمود زيتون

* مجموع الشعر والنقل والترجمة الا بإذن الرسالة

من الأدب الغربي

عندما يسأم الشاعر الحياة

للأستاذ إبراهيم سكيك

يتعرض كل إنسان لفترة من الزمن تطغى عليه في خلالها موجة من اليأس يرى الحياة وهو يخوض عبابها عابسة مظلمة لا يتلذذ بجمالها أو يبتسم لفاتنها، ولا يؤخذ بسحرها أو يهيم بروعتها، تبدو له بدائع الكون كئيبة قاتمة تبعث على الأسى والضجر فينبعث منه أنين خافت وتأوه مكبوت، ويتردد في نفسه خاطر الحزن واليأس، وتستقر بين جوانحه لوعات الشجن والأسى، ويلم بخياله طيف الموت والفناء، ولا يزال على هذا الحال من العذاب والشقاء حتى ينبعث نور من الأمل يبدد دجنة الحياة وديجور اليأس

وقد مرت هذه الفترة اليائسة بكثير من شعراء العاطفة والوجدان فأذكت قرائحهم الشعرية وألهبت حواسهم الفكرية فنفحوا الأدب بما جادت به يراعهم من نظم ونثر. وفي هذا المقال رغبت أن أقطف نبذاً في هذا الموضوع من الأدب الإنكليزي أترجمه إلى قراء العربية:

أقتبس أولا قصيدة لشاعر المعروف « ملتون » الذي كثيراً ما يشبهه الأدباء بالمعري قالها عند ما كف بصره وتسرب اليأس إلى نفسه وهذه ترجمتها:

عندما أفكر في نفسي كيف فقدت نور بصري قبل أن أقطع نصف الشوط الذي قد أتممه في هذا العالم المظلم الرهيب، وكيف أن تلك الموهبة الأدبية التي تكمن في نفسي ولا ريب أن في كبتها قتل لتلك النفس التي ترغب في استغلالها لخدمة خالقها وتقديم واجباتها إليه لئلا ينحي عليها باللائمة، عندما أفكر في كل ذلك أتساءل بلهف: هل يتطلب الله مني العمل في حين أنه يضن علي بنور البصر؟.

بيد أن « الصبر » يوقف هذه الشكوى ويبدد حيرتي فيجيب على تساؤلي قائلا « ليس الله في حاجة إلى عمل الناس ومواهبهم، وأن أولئك الذين يحملون نيره اللطيف ليخدموه الخدمة الكبرى. ثم يخدمه أولئك الذين يقفون منتظرين قضاءه من غير ضجر أو ملل. أما هو جل جلاله فغني عن هذا؛ لأن ملكوته عظيم وفي مرضاته ألوف الملائكة الذين يجوبون البراري والبحار دون تعب أو نصب.»

* * *

وهذا الشاعر الروائي « سكوت » (١٧٧٠ – ١٨٣٢) يصف منظراً رائعاً فقد روعته التي اعتادها لأنه كان في أواخر أيامه في ضيق مالي شديد اضطره لإجهاد نفسه وأخيراً لإرهاق جسمه والقضاء عليه في أيام يائسة وصف في أثنائها هذا المنظر بقوله:

أرى الشمس على سفح تلة « وردلو » تغوص خلف وراء وادي « إترك » والريح الغربية هادئة لا صوت لها، والبحيرة راقدة ساكنة عند أقدام التلة. غير أن هذا المنظر بجلاله وروعته لا يحمل بين طياته تلك الألوان الرائعة والجاذبية الخلابة التي كان يحملها في زمان سلف وعهد غبر.

ثم أن بعد الماء تمايل بوهجهما شاطئ « إترك » فتكسبه صبغة أرجوانية. ألقيت نظرة على ذلك السهل لأرى نهاد نهر « تويد » الفضي ينساب متعرجاً في مجراه وأنقاض هيكل « ملروز » قائمة في كبرياء إلى جانب البحيرة الوادعة.

لكن الهواء العطري والتلة والغدير والمرج والشجر، مال أراها تبعث الملل؟ هل هي كما كانت بالأمس، أم أن التغيير هذا في نفسي فقط؟.

ويلاه! كيف يمكن للوح المنقوش المحطم أن تزخرفه يد الفنان؟ وكيف يمكن للقيثارة ذات الأوتار الممتشجة غير المنسجمة أن تتناسق أنغامها مع صوت الطرب الشادي؟

هكذا كل منظر رائع تتضاءل روعته في نظر العين الكالة.
وكل نسمة عليلة من الهواء اللطيف تبدو للمحموم زوبعة قارسة.
وكل مراتع البادية وجنات عدن قاحلة كهذا المنظر في نظري.

* * *

وهذا شاعر الطبيعة وليم وردزورث (١٧٧٠ – ١٨٥٠) وكان شاعر الهلالة في عهده يصف جمال الكون وهو في شيخوخته وصفاً مشابهاً لوصف « سكوت » فيقول: لقد مضى زمن كان فيه المرج والبستان والغدير والأرض وكل منظر اعتيادي يظهر لي

موشحاً بنور قدسي

وكأنما أفقت من حلم مروع فأراها الآن مغايرة لما كانت عليه في سالف الأزمان؛ وأني وجهت نظري في الأول تجاه النهار تظهر أمامي الأشياء التي كنت أراها من قبل يظهر قوس قزح ثم يتلاشى، وتتفتح أزهار الربيع الجميلة ويضيء حولها القمر الساطع في الليالي الصافية، ويتلألأ ماء الغدير في تلك الليالي المقمرة، وتشرق الشمس فتخطف الألباب، بيد أني أينما ذهبت أشعر بأن مجداً سالفاً قد زال عن وجه الكون.

* * *

ويقارب هذا الوصف ما نظمه زميله الشاعر «شلي» وهو يتحسر على الماضي ويتألم لحاضره، فيقول:

أيها العالم، أيتها الحياة، أيها الزمن، يا من أقف على آخر درجات سلمك وأنا أرتجف فرقاً حين أنظر إلى أسفل حيث درجات الماضي البعيد.

متى يعود مجدك وعظمة أيامك التي ولت؟

آه! لن تعود! لن تعود!

إن السعادة قد طارت من أيامي ولياليّ.

فالربيع الجميل والصيف النضير والشتاء الأبيض تحرك في فؤادي مشاعر الأشجان دون أن تجلب شيئاً من المسرة والابتهاج. فمتى يعود لنفسي الفرح والحبور؟

آه! لن يعود! لن يعود!

وفي فترة من اليأس الشديد مرت بهذا الشاعر المسيء الحظ عندما كان بعيداً من وطنه يقاسي مرارة الغربة وألم البعد عن الوطن وفرقة الأحباب بعد أن خرج على والده وهجر ولده فتكبد مشقات لا توصف، في هذه الفترة نظم قصيدة يدعو فيها نفسه إلى العودة لأرض الوطن فيقول:

هيا فإن الأرج مظلم حالك بعد أن امتصت السحب آخر أشعة السماء الشاحبة.

هيا فإن الرياح المتجهمة تنادي الظلام! ولا ريب أنه سيطوي السماء فيطمس جميع أنوار السماء كما لو كان كفناً شديد السواد.

لا تتريث فقد مضى الوقت، وكل صوت في الطبيعة يناديك بالإسراع لا تفرينك دمعة من صديق أو نظرة من حبيب مها الحت في توسلاتها؛ لأن الواجب يدعوك لأن تعود إلى العزلة والانفراد.

هيا أسرع، أسرع إلى وطنك الهادئ الحزين، وهناك اسكب الدموع المريرة على موقده المهجور، وارقب خلاله القاتمة وهي تتحول من هنا إلى هناك كالأشباح، وانظر إلى شبح غريب هناك سداه الكآبة ولحمته الترح. إن السحب التي تسير في السماء لتخلد إلى الراحة في منتصف الليل عندما تسكن الرياح المتعبة، وكما تسكن هذه الرياح فإن القمر كثيراً ما يريح نفسه فيغيب عن عالمنا المترع بالأحزان، وهذه البحار والمحيطات تجد لنفسها فترات تريح فيها أعصابها من الاضطراب المستمر.

كل ما يحيط بك إذاً أو يكد أو يحزن لا بد له من إغفاءة مريحة. أما أنت فلن ترى الراحة إلا في القبر حيث الخلود الأبدي.

غزة — إبراهيم سكيك

الغزالى وعلم النفس

الالهـــــام

- ٢ -

للأستاذ حمدى الحسينى

بعد أن ظهر جليا فى المقال السابق أن الإمام الغزالى رحمه الله قد عرف اللاشعور وحقيقته والعقل الباطن وأسراره؛ نرى من الحق أن نتحدث عن بعض أسرار هذا العقل الباطن أو اللاشعور، تلك الأسرار التى وصل إليها الغزالى فى دراسته للنفس البشرية، وقد يكون الخيال من أهم أسرار العقل الباطن فى نظر الغزالى، ولهذا فقد أخذنا هنا بالخيال الذى ذكره الغزالى فى سياق حديثه عن العقل فوجدناه قد ألم به إلماما حسناً شأنه فى بقية المواضيع النفسية التى عالجها. وقد رأيناه يتخذ فى بحثه هذا قاعدتين ثابتتين يرتكز عليهما فى معالجاته لهذا الموضوع، وهاتان القاعدتان هما الإلهام والوسواس. وها نحن الآن نتحدث عن الإلهام مرجئين التحدث عن الوسواس إلى المقال القادم إن شاء الله.

والتخيل كما يصفه النفسيون هو استعادة الإنسان فى ذهنه ما حصل عليه الحس من قبل، وهو نوعان: التخيل الاستحضارى وهو أن تستحضر فى نفسك ما كنت قد أدركته بحواسك من قبل غير قاصد التبديل فيه أو التغيير. وأما التخيل الإبداعى والابتكارى فهو التغيير فى تركيب أجزاء المدركات الحسية السابقة لإنشاء شىء جديد. والأخيلة التى من هذا الطراز لا تدخل العقل مبتكرة وإنما تدخل العقل بجميع أجزائها من صور مختلفة متعددة معهودة إليه من قبل فيرتبها ترتيبا جديداً، وهذا ما يميز العباقرة فى الفن والموسيقى والعلم والصناعة من سائر الناس؛ على أنه مهما بلغت قدرة الفرد على الاختراع والابتكار فى العلم أو فى الصناعة أو فى الأدب لا يأتى بشىء كل ما فيه جديد. لأن الإنسان لا يخلق شيئاً من عدم، وهذا التخيل الابتكارى ينقسم إلى سلبى وإيجابى.

ففى التخيل السلبى لا يكون الإنسان مشرفا بإرادته إشرافاً عمليا على عملية التخيل، ولا يكون لخياله غرض معين يشعر به ويقصد إليه فى تخيله، بل يترك له العنان فيجمح هذا الخيال إلى الأمانى والأوهام والوساوس وأحلام اليقظة. أما التخيل الإيجابى فالإنسان يرمى فيه إلى غرض محدود ويوجه تخيله فى طريق معين ويجعله تحت رقابة عقله فيكون شاعراً كل الشعور بالعناصر التى يختارها، وأنه يوجه عملية التخيل نحو غرض معين. وهذا الغرض هو الذى يتحكم فى اختيار العناصر. والصورة النهائية التى تصب فيها، ودرجة الإنشاء والاختراع فيه تختلف اختلافا كبيرا حسب اقتراب التخيل من الممكن أو بعده عنه. وكلما بعد التخيل الإيجابى عن الممكن اقترب من الأوهام والوساوس.

وأما الإلهام فهو كما يقول النفسيون أيضاً: يقولون هو التخيل اللاشعورى الذى يبرز فجأة من اللاشعور فيتجلى فى الشعور واضحا بدون أى جهد يصرفه فى سبيل تبينه واستجلائه. وهذا الظهور الفجائى ليس خاطفا كما يظن؛ وإنما هو نتيجة عمل طويل للاشعور، فعدم الشعور بالجهد فيه هو الذى يجعلنا نراه فجائيا ونسميه إلهاما ووحيا. وهذا الإلهام يسبق كل تحليل وتركيب فيبين الخاطر العبقرى فجأة ثم يأخذ هو فى تحليله وتركيبه من جديد.

ولنسمع بعد هذا كله ما يقوله الغزالى فى هذه المواضيع يقول — لو فرضنا حوضاً محفوراً فى الأرض ويحتمل أن يساق إليه الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه، ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافى فتتفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم، وقد يكون أغزر وأكثر. كذلك العقل مثل الحوض، والعلم مثل الماء، والحواس الخمس مثل الأنهار وقد يمكن أن تساق العلوم إلى العقل بواسطة الحواس، وقد يمكن أن تسد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة فيعمد إلى عمق العقل حتى تتفجر ينابيع العلم من داخله. ويقول أيضاً إن العقل تحصل فيه حقيقة الشىء تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ — أى من العقل الباطن — كما أن العين تحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذى يقابلها ويحكى صورتها. فإذاً للنفس بابان. باب مفتوح إلى الحواس الخمس، وباب مفتوح إلى العقل الباطن. وأما انفتاح النفس

للاقتباس من الحواس الخمس فلا يخفى على أحد. أما انتفاع اللبيب الفاضل فيعرف يقيناً بالتأمل في عجائب الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل وما كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس.

ولنسمع الغزالي يتحدث عن حصول العلوم بالتجارب والتفكير في عقل الإنسان يقول: إن حصول العلوم المكتسبة في عقل الإنسان بالتجارب والفكر تكون هذه العلوم المكتسبة كالمخزونة عنده فإذا شاء رجع إليها وحاله حال الحاذق بالكتابة إذ يقال له كاتب وإن لم يكن مباشراً للكتابة مع قدرته عليها وهذه غاية درجة الإنسانية. ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى تتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطرق تحصيلها إذ تحصل بعض العقول بالإلهام.

ولنصغ الآن إلى الغزالي يتحدث عن هذا الإلهام في الفصلين الكبيرين اللذين عقدهما على هذا الموضوع في الجزء الثالث من كتابه الجليل «إحياء علوم الدين» يقول إن العلوم التي ليست ضرورية وتحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الحال في حصولها؛ فتارة تهجم على القلب كأنها ألقيت فيه من حيث لا يدري، وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم. فالذي يحصل بغير طريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاماً، والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتباراً واستبصاراً؛ ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد ينقسم إلى ما لا يدري الإنسان كيف حصل له ولا من أين حصل، وإلى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب، والأول يسمى إلهاماً ونفثاً في الروع، والثاني يسمى وحياً، والأول تختص به الأولياء والأصفياء، والثاني تختص به الأنبياء. وأما العلم المكتسب بطريق الاستدلال فيختص به العلماء.

ولا بد هنا قبل أن نستمر في إيراد أقوال الغزالي من أن نبين أن الغزالي يستعمل في هذا البحث كلمة القلب بدل العقل، والعقل بدل العقل الواعي أو الشعور، واللوح المحفوظ بدل العقل الباطن أو اللاشعور، ولهذا فإننا نورد أقواله مع التصرف في هذه الألفاظ وضيحاً للمعنى المقصود. يقول الغزالي: إن العقل مستعد لأن تنجلي فيه حقيقة الأشياء كلها ويحال بينه وبينها بأسباب تكون كالحجاب المسدل بين الشعور واللاشعور، وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللاشعور يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين.

وقد ينكشف الحجاب من عين الشعور فيتجلى فيها بعض ما هو مسطور في اللاشعور ويكون ذلك تارة عند المنام وتارة في اليقظة. وانكشاف الحجب عن عيون الشعور لينجلي فيها بعض ما هو مستور في اللاشعور يذكرنا برأي العلامة النفسي الكبير (يونج) وقد نبه في تحليل له لبعض الشخصيات الكبيرة التي عرفها بذاته؛ وهو أن سر عبقرية ذلك الرجل كان في ائتلاف عقله الواعي مع عقله الباطن ائتلافاً تاماً بحيث ترد على عقل الواعي خواطر عقله الباطن ورداً حراً فيوافق عليها عقله الواعي موافقة تامة، ويشترك في تنفيذها اشتراكاً كاملاً. ويدهشنا هذا التوافق بين رأي الغزالي قبل ثمانية قرون ورأي (يونج) قبل ثماني سنين في الإلهام الذي هو سر العبقرية وروح البطولة.

وأما طريق الحصول على هذا الإلهام في نظر الغزالي فهي صعبة شائكة لا يقوى على سلوكها إلا من توفرت فيهم الأسباب لمثل هذا الأمر العظيم. وأما الطريق فهي أن يستعد الإنسان الراغب في هذا الأمر بالتصفية المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار.

فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب؛ بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها والإقبال بكنه الهمة على الله، وزعموا أن الطريق في ذلك أولاً بالانقطاع للهدف بالكلية وتفريغ النفس من كل ما سواه، وبقطع الهمة عن الأهل والولد والمال والجاه والولاية حتى يصبح في حالة يستوي فيها وجود كل شيء وعدمه. ثم يخلو بنفسه ويجلس مجموع الهم ولا يفرق فكره بالقراءة والتأمل؛ بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى هدفه فلا يزال بعد جلوسه في خلوته ذاكراً بلسانه هدفه حتى ينتهي إلى حالة يترك معها تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يصبر على ذلك إلى أن يمحي أثره من اللسان ويظل خاسه

مواظباً على ذكر الهدف ثم يواظب عليه إلى أن تمحي من القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة، ويبقى معنى الكلمة مجرداً من قلبه حاضراً فيه كأنه لازم له لا يفارقه. وله الاختيار إلى أن ينتهي إلى هذا الحد. وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلمع لوامع الحق في نفسه.

ولا شك في أن هذه الطريقة التي ذكرها الغزالي للحصول على الإلهام هي الطريق التي تسلك أيضاً لإيجاد اليقين الذي يستولي على القلب. وعلى كل حال فهي الاستهواء الذاتي بعينه ولكنه من النوع القوي الذي يؤدي إلى ذلك الشيء الذي يسميه علم النفس الحديث بانقسام الشخصية.

محمدي الحسيني

من أدب التاريخ

سفارة موسيقية

من مصر إلى مراكش

للأستاذ محمد سيد كيلاني

كان عام ١٩٠٤ نهاية التنافس الاستعماري بين إنجلترا وفرنسا فعقد بين الدولتين اتفاق ودي يقتضاه تسيطر إنجلترا على مصر في نظير اعترافها لفرنسا بحق السيطرة على مراكش. وقد قامت النفوس في مصر ومراكش من جراء هذا الاتفاق واضطربت الخواطر وسادت الكآبة وعم الحزن. وبينما كان الناس متجهين بخواطرهم نحو مراكش، يرقبون في جزع شديد ما سوف يقع على هذا الشعب المسكين من بطش الاستعمار الفرنسي وجبروته إذا بصحيفة المؤيد تطلع على الجمهور بعددها الصادر في ٩ مارس سنة ١٩٠٤ تحت العنوان المتقدم بالنبأ الآتي:

« هذه السفارة ليست من حكومة مصر بل من رعايا دولة الغرب الأقصى في مصر إلى مولاي عبد العزيز سلطان تلك الدولة وهي مؤلفة من ثمانية أشخاص بين مغن ومغنية وموسيقي قد اتفق معهم حضرة الحاج محمد شقرون وكيل دولة الغرب الأقصى سابقاً في مصر على السفر بالمرتبات التي تقررت لهم وهي المذكورة بإزاء أسمائهم. ولولا أن أحد محرري الجريدة شاهد بعينه أوراق السفر في الدرجة الأولى والعقود المختصة بذلك ما صدقنا الخبر الذي يراه كل إنسان ملم بأحوال دولة الغرب الأقصى، ومشاكلها المالية والسياسية الآن في غاية الغرابة.

وقد استلمت جوقة الطرب المصرية جوازات السفر وتذاكر الوابور الدرجة الأولى لجميعهم وأجرة ثلاثة أشهر مقدما على الحساب الآتي:

المرتب الشهري بالجنيهات	الاسم	الصنعة
٤٥	علي الرشيدي	عواد
٦٥	مرسي بركات	قانوني ومغن
٣٥	فريد شلهوب	كمنجاتي
٣٠	محمود حمدي	مغن
٣٠	محمد السيد	«
٤٠	نظيرة سلطانة	عوادة ومغنية
٦٠	لطيفة سلطانة	مغنية

وربما كانت هذه الجوقة أكبر وفد مصري ذهب إلى بلاد مراكش بألطف معنى من معاني التوداد والتواصل بين الأمم وبعضها، فعسى أن تكون هذه السفارة فاتحة خير بين المملكتين وعسى أن يعود مولاي عبد العزيز بعدها على رؤية الوفود تأتيه من البلاد الشرقية فيقتبع منها لكل أرب بعد هذا الطرب »

وما كاد الناس في مصر يقرأون هذا الخبر حتى وقفوا أمامه متعجبين مندهشين وثارت خواطر الغيورين على مصالح المسلمين ضد سلطان مراكش وشرع الكتاب ينشرون المقالات بالقدح في مسلك السلطان نقداً عنيفاً مراً، حاملين عليه حملة قاسية. وقد اضطلعت صحيفتا الأهرام والمؤيد بعبء تلك الحملة التي ساهم فيها مصطفى كامل بقلمه ونفث من روحه عبارات حماسية وألمه ضد السلطان عبد العزيز وكال له التوبيخ والتقريع فوق المكيال. وإلى جانب ما في هذه المقالات من نقد وتجريح ترى مقالات أخرى

يغلب عليها روح التهكم والسخرية ومثال ذلك ما جاء في المؤيد بتاريخ ٢٨ مارس من تلك السنة وهو : « يقال أن أنباء صدى جوقة الطرب وصلت إلى عظمة مولاي عبد العزيز سلطان مراكش في الوقت الذي وصلت فيه إلى عظمته أنباء بوادر الاتفاق الإنكليزي الفرنساوي بشأن مراكش . وقد ذكر لنا ثقة أن مكاتب البلاط المراكشي في مصر بعث إليه يقول إن الاتفاق قد تم مع أحسن جوقة طرب مصرية كل فرد من أفرادها ستوته أهل فنه . فلما وصلت إلى الحضرة السلطانية المراكشية وصدع موسيقارها وغنى مغنيها قالت الحضرة الشريفة على الدنيا كلها السلام .

أما مكاتب التيمس في طنجة فقد بعث لجريدته يقول إن أنباء بوادر الاتفاق الإنكليزي الفرنساوي بشأن مراكش قد وصلت إلينا وأرسلت إلى سلطان المغرب ، وكبار الأهالي ينتظرون بقية التفاصيل انتظار الظمآن للماء ... الخ »

صدى جوقة الطرب :

تحت هذا العنوان أفسحت المؤيد مكانا للشعراء فأخذوا يتبارون في نظم المقطوعات وكلها تفيض بالهجاء اللاذع والتألم والتهكم والسخرية وإظهار الأسى والحزن على ما وصلت إليه أحوال البلاد المراكشية . قالت صحيفة المؤيد « وجاءتنا مقطعات كثيرة من بعض أفاضل الشعراء في هذا الباب فمنعنا من نشرها ذهاب أصحابها في الألفاظ الموجهة لسلطان المغرب .

فعلى الذين يجودون بأدبهم على القراء من هذا الفن الجديد أن يراعوا مقام من يتمثل به الكلام ، ولكل مقام مقال . »

وهذه العبارة تدل دلالة على الأثر السيء الذي تركته في النفوس تلك السفارة الموسيقية التي أوفدها سلطان مراكش فرحاً في وسط المآتم والمحازن التي كان يقيمها أفراد شعبه . ومع ذلك فإن الشعر الذي نشر في ذلك الوقت يفيض بالأسى والحزن ويعرب عن حقد شديد على هذا السلطان العابث . ومثال ذلك قول حافظ إبراهيم :

عبد العزيز لقد ذكرتنا أمما ‏ ‏ ‏ كانت جوارك في لهو وفي طرب

ذكرتنا يوم ضاعت أرض أندلس ‏ ‏ ‏ الحرب بالباب والسلطان في الحبب

فاحذر على الشعب أن يسري الخراب له ‏ ‏ ‏ فتغتدي سلطانة أعدى من الجرب

وفي هذه الأبيات يقف الشاعر حزيناً متحسراً لتلك الحال التي ذكرته بما كانت عليه الأمور في بلاد الأندلس من اختلال . حزيناً لمراكش أن تسير السير الذي لاقته بلاد الأندلس من قبل نتيجة لانغماس ملوكها في اللهو واللعب ، وإهمالهم شؤون الملك حتى ضاع من أيديهم فناحوا بعد ذلك عليه كما تنوح النساء ، ولم يجدهم ذلك شيئاً وذهبت البلاد من أيديهم . وقد حاول حافظ أن يسوق هذه الذكرى المؤلمة لسلطان مراكش لعله ينخدع بها ويقلع عن غيه ويعمل لما فيه صالح رعيته قبل أن يغرقه الطوفان .

وقال آخر :

قالوا الخليفة في نفس أسى بها ‏ ‏ ‏ من نزع عثمان فرع الفضل والجود

فقلت إن صدقت دعواكم اختبروا ‏ ‏ ‏ خليفة الله بين الناي والعود

شر الخلافة ما تدنيك صاحبه ‏ ‏ ‏ ما بين « صهبى » وشابوب ومحمود »

وبين « سلطانه » لا بين سلطنة ‏ ‏ ‏ تحميه من كل تدبير وتسديد

يا مرحبا لهوى النفس الثاني أتى ‏ ‏ ‏ واشفق على رمس بان به تودى

هلا نهاك اتفاق « الدولتين » غداً ‏ ‏ ‏ من اتفاق مع القينات والغيد

وهذه الأبيات تمتاز بأنها تتناول حال سلاطين تركيا وحال سلاطين مراكش بالموازنة . والشاعر هنا يرد على من يدعون نقل الخلافة من سلاطين تركيا إلى سلاطين مراكش الذين يدعون الانتساب إلى الرسول فيسفه آراءهم ويجهل أفكارهم ويقول لهم انظروا إلى هذا السلطان المراكشي الذي يريدون تنصيبه خليفة المسلمين فهو عاكف على الملذات منغمس في الشهوات ينفق المال بغير حساب على القينات . ومثل هذا السلطان لا يصلح بالطبع لأن يشغل منصب الخلافة . ثم ختم هذه الأبيات بالوعظ والتذكير والتوبيخ والتقريع الذي ساقه إلى السلطان في

من رقي ولا نجى.

وقال أحمد الكاشف :

من كمنة العزيز أقوى على الدهـ ـر يلاقي الخطوب سمحاً لعوبا
وإذا آنسه منى على را ... زالها نام الفؤاد طروبا

وفي هذين البيتين سخرية مرة وتهكم شديد. فالشاعر يظهر العجب من شدة بأس السلطان وقوة احتماله، فهو لم يجزع للخطوب ولم يتحرك للحوادث الجسام التي أحاطت به، بل قابل الشدائد باللهو واللعب. ولما زلزلت الأرض تحته لم يفزع ولم يخف بل جلس على أنقاض هذه الزلازل يستمتع بالغناء والرقص والخمر.

وقال :

لا تلوموا خليفة الترك في اللهـ ـو فما غيره عزاء لنفسه
نار الخطب وهو لا بد منه فتعاشاه في مجالس أنسه
ربما مثلت له حبب الكأ س شهابا فظنه بعض بأسه

وفي البيتين الأولين يصور الشاعر السلطان في صورة من يهرب من الحزن والهم إلى مجلس أنس ليهرب من نفسه متاعب الأحزان والآلام، ويجد في الخمر والغناء عزاء لنفسه وتسلية لها حتى لا تسترسل في الهموم فتهلك. وفي البيت الأخير يسخر الشاعر من السلطان سخرية مرة ويتهكم منه تهكما قاسيا مضحكا. وقال :

عبد العزيز ملام تلهو بالصبا لهو المؤمل أطول الآجال
والم تسمع مطربيك وقد علا صوت النذير بأعجل الأهوال
فلقد أجرتهم ثلاثة أشهر هلا أجرتهم ثلاث ليالي

وفي هذه الأبيات لا نسمع سوى التوبيخ والتعنيف والتقريع الشديد المؤلم، والتحذير والترهيب من سوء العاقبة

وقال آخر :

إيه عبد العزيز أي شهاب أنت في حالة القضاء المخيف
يرسل الخطب كل يوم نذيراً فتراه بالناظر المكفوف
كيف يمشي إلى النذير فؤاد ملأته «سلطانة» بالمريب
أنت كالقدر تابع النار منها فمتى كالواله المشغوف
خطر حاضر وآخر آت وحتوف تدور بحتوف
وعمو إلى احتيالك ظام ظمأ الصب للمى الرشوف
هو في سومة وأنت بأخرى بين بيض كبيضه وصفوف
فطم الراح والجنود سقاة وقراع الظبا رنين الدفوف

فانظر إلى ما في هذه الأبيات من الصور والمعاني وعبارات الهجاء اللاذع كما في قوله «أنت كالقدر ...» وإلى ما فيها من التهكم والسخرية، والموازنة بين حالة الفرنسيين الذين كانوا يحدقون في امتلاك مراكش وما قابل ذلك من غفلة السلطان وقعوده عن الذود عن بلاده واشتغاله بتوافه الأمور وركونه إلى اللهو واللعب. وأنه لم يجد أمامه ما يعمله بإزاء تلك الخطوب على حافة بلاده سوى إنفاق الأموال الطائلة على الملذات في الوقت الذي اضطربت فيه الأحوال المالية في بلاده اضطرابا مهد للفرنسيين السبيل لبسط حمايتهم على البلاد وإذلالها.

وقال أحمد نسيم :

ليتني قادر على اللهو يوما فيه ينجلي الفؤاد عن الحتوف
من عبد العزيز في كل خطب هذه عيشة الفتى الفيلسوف

لم يستطع أحمد نسيم وكان أجيرا لسلطات الاحتلال في مصر في ذلك الوقت أن يقول أكثر من هذا. وماذا يقول وهو الذي كان ينشد بفضل الاحتلال البريطاني ويسبح بحمده؟ والاتفاق الودي أثر من آثار هذا الاحتلال، وفيه اعترفت فرنسا لإنجلترا بمركزها في مصر كما أطلقت بريطانيا يد فرنسا في مراكش. فأحمد نسيم اعتبر سلطان مراكش فيلسوفا يعيش عيشة الفلاسفة. وهو يعجب بالسلطان على سماع الغناء، والانغماس في الملذات في أوقات المحن والخطوب. فإن هذا العمل في نظر أحمد نسيم شاعر الاحتلال من الأعمال المحمودة التي تليق بالفلاسفة في نظر هذا الشاعر، هم الذين يتركون شعوبهم تموت جوعا، بينما هم ينغمسون في الشهوات دون حسيب أو رقيب.

وقال إمام العبد :

لاموا الفتاة وما درت بعلومها ألا لترقظ أمة بسنانه
لما رأت سلطانهم في نشوة راحت تدير شؤونهم «سلطانه»

ومن قال الإمام العبد إن الأمة المراكشية كانت بسنانها، وأنها كانت في حاجة إلى الموقظ والقانون لتستيقظ على أنقاضها؟ أما قوله إن السلطان كان في نشوة فهذا صحيح. أما قوله «راحت تدير شؤونهم سلطانه» فخطأ محض؛ لأن الفرنسيين لم يبقوا مفرجين

كشاجم

للأستاذ عبد الجواد الطيب

— ٣ —

إذا كنا قد تحدثنا في المقال السابق عن ثقافة الرجل ، فمما يتصل بهذا الموضوع أن نعرف شيئاً عن أساتذته وتلاميذه ، أو من تأثر بهم وأفاد منهم ، وإن لم يتخذوا مرتبة الأستاذية ، ومن تأثروا به ، وإن لم يكونوا بالفعل تلاميذه .

ومما يؤسف له ، أن مرجعاً من المراجع التي بين أيدينا لم يحدثنا عن شيء من ذلك يذكر ، حتى ليحار المرء فيما تنسبوه إليه من ألوان العلم والمعرفة ، دون أن يشيروا — ولو إشارة عابرة — إلى بعض مصادر هذه المعرفة وأصولها !

وإذا كانت هذه حال المراجع التي ترجمت للشاعر ، فليس لدينا إذن إلا أن نستهدي شعره عساه أن يوصلنا إلى شيء مما نبتغيه .

يحدثنا شعر كشاجم أنه قد اتصل ببعض الأطباء والمنجمين من معاصريه وقد مدحهم وأثنى على علمهم وإنتاجهم ، ومن هؤلاء أبو جعفر أحمد بن إبراهيم المعروف بابن الجزار ، الذي أثنى عليه كشاجم حتى بعد وفاته وذكر كتابه المعروف « بزاد المسافر »

أبا جعفر أبقيت حيا وميتا ... مفاخر في ظهر الزمان عظاما
رأيت على زاد المسافر عندنا ... من الناظرين العارفين زحاما[1]

ثم هذا الأخ الصديق الذي يقول فيه :

الحمد لله قد وجدت أخا ... لست مدى الدهر مثله واجد
أسكن في صحتي إليه فإن ... مرضت كان الطبيب والعائد
طبائعيا منجما جسدلا ... يجمع منه الكثير في واحد[2]

فإنه وإن كانت صلة الشاعر بهذين وأمثالهما لا تبلغ أن تكون صلة الأستاذ والتلميذ فإنهما على كل حال صلة الصديق بالصديق ، والإنسان قد يفيد من معارف الإخوان والأصدقاء ، لا من طريق التعلم والتلقي ، وإنما من طريق المصادفات والمناسبات التي يتطرق إليها الحديث — والحديث ذو شجون — فتحصل الإفادة والاستفادة من طريق غير مباشر .

وليس لنا أن نقلل من قيمة هذا الاتصال كوسيلة من وسائل الثقافة لها أهميتها التي تزيد أو تنقص تبعاً للظروف والملابسات ، ولكنها لا يمكن أن تلاشى أو تنعدم ، فنحن نرى أن حافظ إبراهيم كان من المصادر الهامة في ثقافته اتصاله بالأستاذ الإمام ، وسعد زغلول ، ومصطفى كامل ، وقاسم أمين — فكان يفيد من مجالسهم في النواحي الخلقية والاجتماعية ، والسياسية ما ظهر أثره واضحاً في شعره ، مع أن صلات حافظ كانت من طراز آخر غير صلات كشاجم ، جعلت من شاعر النيل شاعراً خلق لعصر جديد له نزعاته وميوله واتجاهاته التي لم تكن من سمات ذلك العصر الذي وجد فيه أمثال كشاجم

---

١ — طبقات الأطباء ط سنة ... ج ٢ ص ٣٨
٢ — الديوان المخطوط ٥٢٦ أدب دار الكتب ورقة ٤٢

بل كانوا قابضين على ناصية الأمور بيد من حديد .

على أنك لن تجد من الشعراء من قال ما قال وأتى بالنكتة اللاذعة التي اشتهر بها الحشاشون غير إسماعيل صبري فإنه قال :

يا آل مراكش وفد الثناء أتى ... من مصر يسعى أولا كم على الراس
لا تنكروا نكتة في طي بعثته ... فإنه أحسن ما يهدى إلى (فاس)

ففي كلمة السوداورية . فهي بمعنى الآلة الموسيقية المعروفة وبمعنى عود البخور . وكذلك في كلمة (فاس) تورية فهي إما نسبة إلى مدينة فاس أو اسم فاعل لا يخفى معناه . وهكذا تناول إسماعيل صبري الموضوع على هذا الوجه المضحك . وقد بقيت صحيفة المؤيد تنشر هذه المقطوعات مدة من الزمن ثم أغلقت الباب حذاء متوجعة بما يصلها يومياً من الأشعار ، ذاكرة أنها نشرت ما فيه الكفاية .

ولكن هذه الحملة التي شنها الكتاب والشعراء لم تنفع من موقف سلطان مراكش ولم تترك في نفسه أثراً . فقد جاءت الأخبار بوصف حفلات الغناء والرقص التي أقيمت في البلاط السلطاني ، كما وردت الأنباء بالهدايا والتحف التي وهبها السلطان لمغنيه .

محمد سيد كيلاني

وقد اتصل شاعرنا بأديب من معاصريه هو أبو بكر الصنوبري المتوفى سنة ٣٣٤ هـ ، وقد نشأت بينهما صداقة قوية تنعكس واضحة في شعر الرجلين ، وإذا شئت أن تتبين شيئاً من ذلك فانظر في قول كشاجم :

لي من أبي بكر أخو ثقة	لم أستريب بإخائه قط
ما حال بي قرب ولا بعد	سيان منه القرب والشحط
جسمان والروحان واحدة	كالنقطتين حواهما خط (١)

* * *

أبا بكر اسلم للمودة والصفا	فودك باق لا يحول ولا يتغير
متى يشق خل بالتغير من أخ	فدون خليلي من مودتك تمحص

فالصنوبري ـ كما ترى ـ « أخو ثقة » بحسبه كشاجم الذي لم يشك يوماً في إخلاصه ووفائه ، فهو لم يتغير ولم يتنكر لهذا الحب سواء نأت داره ، أو قرب مزاره ، وإنما هو مخلص في كلا الأمرين ، ووده باق في كلا الحالين ، ولا يتحول ولا يحول ، فإن كانا في عالم المادة جسمين اثنين ، فهما في عالم الحب ، والمثالية في الوفاء روح واحدة تجمع بين هذين الجسمين جميعاً

ثم هما قد يقتسمان كما يقول العلماء حين يحدث بينهما ما يدعو إلى ذلك ، فتجد هذه الأخوة بارزة في هذا الشعر الأخوي .

أتنسى زماناً كنا	به كالماء والخمر
أليفين حليفين	على الإعسار واليسر

مكبين على اللذات في الصحو وفي السكر
ندى في فلك الآداب كالشمس وكالبدر (٢)

ثم إن الصنوبري حريص على صاحبه أثير لديه إلى الحد الذي يقول معه :

ولو سفكت يداه دم ابن عمي	أو ابني لم أثره ولم أعاده
ولو قتلي أراد خلت نفسي	له عمداً أبايع من مراده (٣)

ولا يخفى ما في هذين البيتين من مبالغة غير مقبولة ، ولكنهما على كل حال يصوران هذه الأخوة الوثيقة بين الرجلين .

١ ـ الديوان المخطوط رقم ٨٧٦ أدب « دار الكتب » ورقة ٩٥
٢ ـ نفس المرجع ورقة ٩٣
(٣) الديوان ورقة ٨ (٤) ورقة ٥١ ، ٥٢

وإذا كنت قد لمست آثار هذا الحب بارزة في شعر كشاجم ، فانظر معي في قول صاحبه :

إذا انتسب الثقات إلى وفاء	نسبتك بالإحسان وانتسابه
على أني وإن حزت الثريا	فلست أقيس بعد إلى ترابه
ولو أقسمت أن المجد شيء	له دون البرية لم أحابه
خليل كنت إن واريت شخصي	رأت عيناك شخصي في ثيابه
حياتي في غنائه ولكن	حياتي حين يقرب في اقترابه (٤)

فأنت ترى أن الصنوبري قد أسرف في مجاملة صاحبه فلم يقتصر على أن غض من نفسه ورفع من قدر صديقه ، ولكنه لو أقسم أن المجد شيء قد خص به كشاجم دون الناس ما حنث في يمينه ، ولا حابي صاحبه ، وهذه لا شك مبالغة قد توحي ـ في بعض جوانبها ـ بأن الامتزاج والاختلاط بين الصديقين لم يصلا إلى درجة يسقط معها هذا التكلف ، ولكن المسألة في ذاتها ربما لا تعدو أن تكون مبالغة شاعر ولا تعني شيئاً غير الحفاوة بصاحبه والتعبير عن حبه له وتفانيه في إكرامه ، كما يتفانى هو الآخر في إعزازه وتكريمه ، ومع هذا فأنت تلمح ـ إلى جانب هذه المبالغة ـ آثار هذه الأخوة صادقة مقبولة ، لا تكلف فيها ولا تزيد ، فإذا كان للثقات أن ينتسبوا إلى الوفاء فهما خير من ينتسب إليه ـ فأنت إذا افتقدت أحدهما رأيته في شخص صاحبه .

ولعل هذه العلاقة القوية بين الرجلين كان لها أثرها في شعرهما ولا سيما في شعر كشاجم ، الذي كان يجل صاحبه ، فقد كان ـ على ما يبدو ـ أكبر منه سناً ، وأشرف مهنة حيث اجتمعا في بلاط سيف الدولة حيث كان كشاجم طباخه والصنوبري خازنه .

وربما دخل في حسابنا ـ إلى حد ما ـ أنه يلوح أيضاً في الأصل والمحتد فهذا عربي منسوب إلى ضبة (٢) وذاك أعجمي (٣) .

ثم إن له عليه من الأيادي البيضاء ما يردده كشاجم في شعره :

كم نعمة منه حليت بها	لا الشنف يلحقها ولا القرط
ويد له بيضاء ضاحية	مثل الملاءة حاكها القبط

ولعل قائلاً يقول : ما شأن هذا كله وتأثره بصاحبه في

١ ـ ورقة ٥٣
٢ ـ تاريخ ابن عساكر خطة ١٢٣٠ بيرس ٤٥٦ ، ٣ ـ ابن بسير بأشيار مصر مخطوط معهد المخطوطات رقم ٤٤٥٦ ورقة ٣٦٣

الناحية الأدبية ؟ ولكن الواقع أن هذه الأشياء كلها "نهين" جوا نفسيا خاصا يأخذ دوره في إكبار الرجل لصاحبه ، وتأثره به ، أو تأثره إياه ، هذا بل ما عساه أن يجده في صاحبه ، أو في أدب صاحبه من محاسن يجدر - في نظره - احتذاؤها والنسج على منوالها ، ولكن الجو النفسي يضفي عليها حالة تزيدها جمالا وجلالا ، ومن هنا ندرك سر إعجاب كشاجم بأدب صاحبه وعلمه :

ذا كره أو جاوره مختبرا … تر منه بحرا ماله شط
وجنان آداب مثمرة … ما ذاتها أثل ولا خمط

* * *

ولعل النعم التي حل بها كشاجم من صاحبه ، والأيادي البيضاء الصافية التي أسبغها عليه ، والتي رددها كثيرا في شعره كما رأينا ، لعلها لم تقف عند الناحية المادية وحدها ، وإنما تعدتها إلى ما عساه أن يكون قد أفاده منه في الناحية الأدبية الصرفة ، فأنت إن « ذاكرت » صاحبه وجدته البحر علما وأدبا ، وإن « جاورته » وجدته البحر جودا وكرما ، وهكذا نرى أن المسألة ليست مسألة المادة وحدها ، وإنما هي مسألة العلم والأدب أيضا ؛ وهكذا المثل الذي نلمحه في شعر كشاجم إزاء صديقه الصنوبري نراه يصرح به تصريحا في مدحه للحسين بن علي التنوخي :

علت عينك أن يصير خده … كبرا وأبهة على أصحابه
بمواهب منافس من أمواله … ومذكرات زمن في آدابه

وإنا نحب أن نشير إلى تأثر كشاجم بصاحبه الصنوبري هذه الإشارة الخاطفة ، إذا تركنا الكلام لتفصيل ذلك إلى الحديث في شعر كشاجم فيما يلي ذلك من فصول ، غير أننا نستطيع الآن أن نقول إن الصنوبري حين أفاد كشاجم من طريق إيجابي ، أفاده أيضا من الناحية السلبية ، فهو أحيانا ينتقد شعره ويكايده وليس من شك في أن هذا العمل من شأنه أن يطلع المرء على عيوبه التي قد تخفى عليه ، ويدفعه عن طريق غير مباشر إلى سد هذا النقص ، ومحاولة الوصول إلى الكمال :

وكايدني ولم أر قط أحلى … من المشتوق لفظا في كياده
معنّى في انتقاد على شعري … وفضل الشعر يظهر في انتقاده

ولو حاولت أن تورى بفكر … طليت الغايب من سواده

* * *

ومهما يكن فإن الشخص الذي صرح كشاجم بأنه قد تلمذ عليه فعلا هو علي بن سليمان الأخفش النحوي المتوفى سنة ٣١٥هـ حين يقول في ثنايا قصيدة في مدحه :

وكل يدعي تأديبه الحسن وتخريجه
ومن أولى بتخريجه ممن كنت خريجه

فيبدو من هذا أن كشاجم كان تلميذا للأخفش ، وإذا عرفنا أن الأخفش كان نحويا أكثر منه شيئا آخر ، عرفنا أن كشاجم قد أصاب على يده شيئا من النحو إلا يكن كفيلا بأن يسلكه في عداد النحاة ، فإنه يكفيه إلى الحد الذي يحتاجه الأديب ولا يستغني منه ، وقد يطالعك هذا الجانب النحوي من ثقافة الرجل في هذه الأبيات التي قالها متندرا بهذا الذي يدعي النحو ، وليس من النحو في شيء :

تشبه في النحو بالأخفشين … غباء بأعجوبة مطرفه
ولم يسمع النحو لكنه … قرا منه شيئا وقد صحفه
فإن لم يكن أخفش الناظرين … فإنك التقى أخفش المرفقه

وقد سمع الأخفش أبوي العباس ثعلبا والمبرد وفضلا اليزيدي وأبا العيناء الضرير ، ودرس النحو واللغة وشيئا من الأدب … ولكنه لم يتوفر على الدراسة الأدبية توفره على الدراسة النحوية . ومع هذا يذكر ياقوت في معجمه نقلا عن المرزباني في المقتبس : « لم يكن (الأخفش) بالمتسع في الرواية للأخبار والعلم بالنحو ، وما علمته صنف شيئا ألبتة ولا قال شعرا ، وكان إذا سئل عن مسائل النحو ضجر ، وانتهر كثيرا من يواصل مسألته ويتابعها . وشهدته يوما وسار إليه رجل من حلوان كان يلزمه فلما رآه قال له :

حياك ربك أيها الحلواني … ووقاك ما يأتي من الأزمان

ثم التفت وقال : ما نحن من الشعر إلا هكذا وما جرى مجراه »[1]

وهكذا يتبين لنا أن كشاجم لم يفد من أستاذه كثيرا سوى علم

---

١ — ياقوت : معجم الأدباء طبعة دار المأمون ١٣ / ٢٤٧

لم يفد شيئاً — في الناحية الأدبية ، إن لم يكن قد أضر به ذوق أستاذه الذي ليس حذالاً في الميدان الأدبي .

وإذا كان كشاجم قد تأثر بهؤلاء الذين ذكرنا ، فقد وجد بعض من تأثر به ، ولا سيما السري الرفاء ، الذي يقول فيه ابن خلكان : « وكان السري مغرى بنسخ ديوان كشاجم الشاعر المشهور وهو إذ ذاك ريحانة الأدب ، والسري في طريقه يذهب ، وعلى قالبه يضرب . . » وقد بلغ من إعجابه به وتعصبه له ، وكراهته للخالديين الناصريين أنه « كان يدس فيما كتبه من شعره أحسن شعر الخالديين ليزيد في حجم ما ينسخه ، وينفق سوقه ، ويغلي شعره... » (١)

١ — ابن خلكان : وفيات الأعيان طبعة سنة ١٣٢٣ ، ١ ، ٢٥٠

عبد الجواد الطيب

خواطر في كتاب الله

تربيـــة الدعاة

للاستاذ محمد عبد الله السمان

إن المهمة الملقاة على كواهل الدعاة شاقة خطيرة ، ولقد كانت عناية القرآن بتربيتهم عناية كبرى تمهيداً لطريق أمامهم إلى قلوب الناس ، والرسل جميعاً — صلوات الله وسلامه عليهم — هم المثل الكامل للدعاة ، وستبقى تربيتهم نموذجاً للتربية الرفيعة السامية ، لا سيما وأن مربيهم هو الحكيم الخبير .

ولما كان الداعية في حاجة إلى أسلوب جميل ممتزج باللباقة والسماحة في عرض دعوته ، فقد راح القرآن يربي الدعاة تربية سياسية دبلوماسية رفيعة تعينهم كثيراً على نجاح دعواتهم :

« لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ، فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ، قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين ، قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم ، وأعلم من الله ما لا تعلمون ، أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون ؟ »

« وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، أفلا تتقون ؟ قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين ، قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين ، أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ؟ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة ، فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون » .

« قل يا أيها الناس : إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض ، لا إله إلا هو يحيي ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » .

وتظل الدعوة إلى المرونة بارزة واضحة في أساليب الآيات القرآنية مما دل على اهتمام القرآن بهذا النوع من التربية الذي يتوقف عليه نجاح الدعاة في كثير من الأحايين :

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن — ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك — قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ، إنه لا يفلح الظالمون — وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون — فإن تولوا فقل أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ، ويستخلف ربي قوماً غيركم ولا تضرونه شيئاً ، إن ربي على كل شيء حفيظ — فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى — وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون » .

وانطلق أحد الكبرى في مناقشة الدعوات ، وكذلك نراه متجلياً في أساليب الدعاة :

« ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك ، إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت ، قال : أنا أحيي وأميت ، قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فبهت الذي كفر » .

« قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون ، قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق ؟ قل الله يهدي للحق ، أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى ؟ فما لكم كيف تحكمون . »

« يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » .

« قال فمن ربكما يا موسى ؟ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » .

« وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ، قال : من يحيي العظام وهي رميم ؟ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم ، الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ، أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى ، وهو الخلاق العليم » .

ويوجه القرآن الكريم الدعاة إلى التذرع بالصبر والاحتمال في سبيل دعواتهم : « فانتظروا إني معكم من المنتظرين — فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين — قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا — فاصبر إن وعد الله حق — فاصبر على ما يقولون — فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم » .

ويطبع القرآن الدعاة بطابع الشجاعة فهي من أهم مقومات الدعوات ، ولأنها مما لا يستغني عنها داعية يريد أن يشق طريق النجاح لدعوته :

« واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله ، فعلى الله توكلت ، فأجمعوا أمركم وشركاءكم ، ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون » « قالوا يا هود ما جئتنا ببينة ، وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك ، وما نحن لك بمؤمنين ، إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ، قال : إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ، إني توكلت على الله ربي وربكم » .

« إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ، قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين »

« وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر »

ويكافح القرآن التردد في الدعاة مهما تجردوا عن كونهم بشرا ؛ إذ إن ظهورهم على حقيقتهم يهبهم نقاء ، وسموا تكون دعواتهم أقرب إلى قلوب الناس وأبعد من نفورهم .

« ولا أقول لكم عندي خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول إني ملك »

« قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وما مسني السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون »

ويكافح القرآن في الدعاة مرض اليأس الخطير حتى لا يأخذ همهم الضعف ، ويصيب جهودهم الفشل ، وتبوء دعواتهم بالخيبة :

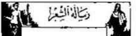
« وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون » .

« وإذ قال موسى لقومه ، إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد »

« وإن كان كبر عليك إعراضهم ، فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ، فلا تكونن من الجاهلين »

(للبحث بقية)

محمد عبد الله السمان
مدرس علم الدين الاجتماعي بالبنات
بالسيدة زينب



قصة واقعية

دميـــة (١)

« إلى زوج أختي الشقة عزيزة »

للأستاذ إبراهيم العريض

مدت لها الأم راحتيها ... كأنها سورة الحنان
صبية فرشها المطايا ... ما جاوزت دورة الثمان
خفيفة الظل، ذات زهو ... تمس في جفنها الأماني
ما أنضر الروض في صباها ... وكل ما فيه وردتان
فألها - لو ترى - صفو ... لكن لها به ألف شان
تعقد أحلامها، فتلق ... ما تشتهي العرس من أغان
ملا ممان .. وإما السحر ... كله حيث لا ممان
تسميها دمية .. حامها ... والعرس معقولة اللسان
كحلاء، ترنو لها بصمت ... إذا استقلت بها اليدان
تفتح العين لاستماع ... وتغمض العين بعد آن
تجمع في حبها وتلهو ... بالخد والثغر توأمان
حتى إذا رنقت ميناه ... مال بها النوم في توان
بين يديها الحياة حلم ... فهي من الليل في أمان

* * *

جاءت إلى الأم ذات صبح ... تطوقها براحتين
وبادلتها بقبلة ... لم ... تجاوز الثغر — قبلتين
«أماه! ما بال خالتي لا ... تأتي به كي تقر عيني
أود أن أرتديه حالا ... فإن للعرس جلستين
فأوجع محتومة، وأخشى ... إذا أعادت في المضحكين
ـ تضحكها شر الصغارى ... كأنها ثورة الطين

وضحكة .. والتخيل توحي ... رأسها: بينما دعيني
أختي.. هل دموي أذاها ... وما أحق الدمى بصون
قالت: «دعيني بيني! في ... أشعة الشمس تمتني
فالبرد في قلعه شديد ... بل أنا منه في شدتين
فربما احتاج نظرة لو ... ملك الوشي، أو نظارتين
وعندك الا يضيق رقت الـ ... صلاة حتى أفي بديني
فمرحى من سماك بما ... بين الصبايا بحاجتين

* * *

ما أدرر الطهر في ارتعاش ... كأنه مدره وتور
حتى أتت كالهزار تعدو ... لأمها ثغرها بسير
«أماه، أماه، طالبيني ... في بختي، إنه كبير
ألا يرى شكله جميلا ... كل في الريح إذ يطير؟»
قالت لها: «ابنة الحواق! ... عشت كما عاشت الزهور»
ما هي تختال في العذارى ... بحلة يلتقي بها السرور
ودمية الجبس في يديها ... قد لفها البخنق الصغير
لا تسمع الأذن حيث رنت ... فيروزة دودة، يا طيور!
أو تبصر العين حيث حلت ... إلا حنانا فالحور حور
حتى إذا الأفق حال وردا ... وتاج فوق الأفق نور
كأنه ضحكة المرايا ... في يد حسناء تستخير
وجاء يبدو بموكب الليل ... يسبقها الكوكب الأثير
عادت إلى البيت، كل خود ... تود لو أنها الأخير

* * *

وسوت الأم مهدها في ... ركن، وعادت إلى الحنية
فأبصرتها، وفي يديها ... دميتها، لم تزل أبيه
فالتفتت نحوها، وقالت: ... «ألا تكفيني يا صبيه؟
كفاك طول النهار لعبا ... هيا إلى النوم كالبقية»
أواه ما أرخص السؤال ... عند الذي يجهل القضية
فلملمت ذيلها امتثالا ... وضاحكت أمها تقية
«أماه! هل تسمحين لي أن ... أنام في بختي الشهيه
فدميتي لن تنام إلا ... معي هنا، إنها سميه
لقد قضينا النهار أوحى ... لها، فترجى لي التحية
إني لأرجو لها، كما قد ... ترجو من النوم لي هنيه»
والبرد يسري إلى عظامي ... كأنه البرد ذاب فيه

(١) وضعت مسودات هذه القصة الشعرية في البحرين ليلة الأربعاء ٧ فبراير ١٩٥٠ . معناها حب مريض .. أصابت طلاب بوجه الربيع .. فما تم اكتماله أنه لا يحد بحق الأمس ثم ..»

فداريها دمًا من الهول … د في مقل تخشى دبيبه
يا دميتي أنت ذات عرش … فلا تجورى على الرعيه …»

* * *

وداعب النوم جفنها في … لج، فكفكفت من منتهاها
وأزلفها الأحلام، في زو … رقه من الخلد في رباها
فأبصرت نفسها تراءى … في جنة سيرها شذاها
فنحتها الدمع حيث واست … فتح نواره وناها
وفوقها الورق كل ورقا … ء ذوبت أنسه حشاها
وتحتها الورد .. كل ورد … ينفح في ردنه شذاها
وخرخر النهر من بعيد … يحمي على شك خطاها
وحامت حولها لدات … من كل كحلاء في صباها
كأنهن النرجس الندى … تكاد تلقي لها نداها
يجذبنها تارة، وأخرى … يدفعن في جذبها سواها
حتى تراءت .. وتفرقن … افرادا، مثل رؤاها
وأين نجون من … رعنها … حواجب .. لم لا تراها
فضمت الدمية التي لم … تزل إلى جنبها، بجاها

* * *

وطالت الريح من قريب … تسمعها لوعة الثكالى
كأنها في الركاب شخص … نادى المنى، فسلطا لا
أرسل للفتك خيله .. فهو … لا يني يطلب النزالا
تلهب بالسوط ظهر بيت … يأبى لها ركنه امتثالا
وعاوده الحلم جفنها تا … بيا، فخاضت في الحلم حالا
فأدركت نفسها على شا … طئ، وأمواجه الالا
وكلما أومضت لها تر … قة، همى ميثها انهمالا
ولم يكن مزنه كماء … سماء، بل كاللظى اشتعالا
حتى دنت ثلة، وكانت … تمضي بها فسقها تعالى
وقام في وجهها شياب … تخنق أنفاسها سعالا
فأطلقت من يمينها عر … سها، وألقت لها الشمالا
واستعرضت أمها بصوت … من ظمأ جف واستحالا
فأكدتها «روح» أحست … في حضنها الخفق والكلالا

* * *

دوي مع الريح صوت ناع … فحطمن الشيء سكونه
فالأم إذ تستقر، تلقى … من أرضتنه على جبينه
رعالها أين، ترى اساما … قدر له الموت من كمينه
يلمس أطراف كل شيء … في البيت من سقفه لطينه
حتى غدا البيت في إناء … كنقطة الماء وسط وتينه
فالريح نار … في جوفيه … والنار ريح .. على متونه
فلقلق في ثوبها، وانسا … بسر إلى الرأس في قرونه
وبادرت طرفها وطفلى … يمسك الطفل في جنونه
واختطفته بوا أيجرى … به على النار، أم يخونه؟
وتدفع الباب دفعة، فا … دركه محنى على عرينه
الريح في صحوه ادوى … كنكسة الطفل في أنينه
وأبصرت حولها رجالاً … كل يدارى على قرينه
فولولت: «أدركوا فتاتي … يا غصنها المادق في أوانه!»

* * *

واحتملوها في قشوة لم … تمال على الليد فوق ساعه
فاسترجعت وعيها، فلاقى … رضيعها باسطًا ذراعه
يا لهف الندى فوق صدر … وكادت … أضاعه
فاحتضنته بلا شعور … قد جمدت فيها صراعه
كم حاصت باسمها ينادي … فاتفقت لولا استطاعه
فما استفاقت إلا وجوهًا … يذري عليها الأطفال فناعه
وقال من قال: «إنها قد … نجت!» ولم تنتظر سماعه
فنادت: «أين شاعرها؟ … من ذا رآه بين الجماعه؟
فوزيتي .. ابنتي فقدتها … ألا كريم يعيد … جاعه
لحلها، فالعجيب يعمى … أحنى على مهدها شجاعه
وكم أرادت … وما أرادت … تمس على عمرها ضياعه
لولا أسماء حصر، فلبها … ناشدتها الصبر والقناعه
وحولها الخلق في هياج … يبدون صمًّا لها وطاعه

* * *

وصعد الناس … إذا حبس … أنفاسهم، إذ دخها الشرار
ظلوا إلى الصبح في انتظار … والآن لا ينفع انتظار
وأقبلوا يبحثون خبطًا … كالطفل والما حيث داروا
فلم يكد … يصدم … لهيب … يخور للبحث حيث داروا
وزحزحت كفه حطامًا … ما زال الجمر فيه نار
حتى اعترت جسمه قشعريـ … ـرة، ودارت به الديار
فغض من طرفه ارتياعًا … يا هول ما خبأ النهار!
لقد رأى تحته فتاة … جفنها و الردى الوقار
قد مست النار حاجبيها … ولم تمس اليدين نار

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

صديقتي البريد :

هذه رسالة متواضعة ، أطمع أن تنشرها كاملة ، وكلي صدرك الرحب لا يضيق بها ولا يتولى عنها ، فربما كانت لتلك فقيرة الوعاء مصدوعة البناء ، شتيتة العبارة مبتورة الأنفاس .. ولكن ماذنبي والأدب كالدين سمح كريم ينفر ويشوه والكرام الكاتبون في تواضعهم وعظيم أخلاقهم وكياستهم كالأنبياء والأولياء والصالحين يحتفون ويقربون ، أو لم ينبه الله تعالى رسوله الكريم إلى أنه : « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » ليقول له : « وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى » ؟ ... هذا هو سر ما شجعني على الكتابة لك ، وما يدريك يا سيدي لعل أزكى ، أو أتخرج على يديك وبفضل توجيهك وتشجيعك لي ، أديباً أو شاعراً أو ناقداً ألم تتفتح بالأمس زهرة (الشاعرة ناهد) بفضل هذا التشجيع والإيحاء ؟ . ولكن للأسف قد اقتطفتها يد المنون على حين غفلة ولما تزل غضة بالعطر ، وتلك وردة أخرى (هجران) تفتحت بأول نفحة من أريج أوراقها وبفضل رعايتك أيضاً ... وهل أكون مخطئاً إذا اعتبرت هذا وسميته تخرجاً على يديك وتوجيهاً منك ، مادام الأمر مرتهناً بكلمة توجهها إلى الشاعر المبتدئ أو الأديب الناشئ ، فيهتز لها جنانه وتنبعث الثقة في نفسه ، فتشرق نفسه من بعد ظلمة يأسه ، ويعمل على مل . تلك الثقة دؤوبا مجتهداً مواصلا ليله بنهاره حتى لا يهان عند الامتحان ؟ فكأن إشارتك له بمثابة نداء منك أن هب من رقدته تمش في الطريق غير هياب ولا متعثر ، بل أن يصبح رهن أمرين كقول الهمذاني في مقدمة كتابه الألفاظ : « إما التعلق بأسباك مضاء ونفاذا إلى آخر حتى نهاية الطريق ، وإما الانتكاس في الحضيض تخلفا ونقصاً إن قعد به العجز عند أول أشواطه » ! ... وهل تنسي يا سيدي مذهب « الأداء النفسي » ودراساته الفنية العميقة ، الهداية المبدعة ؟.. كلا والذي علمك البيان . على أية حال تخرج من هذا الكلام مراعاة لوقتك الثمين إلى سؤال أطمع في الإجابة عنه إجابة تبرد الحرقة وتشفي الغليل ، وهو : ما الذي قعد بك عن متابعة نشر فصول كتابك من شاعر الأداء النفسي علي محمود طه في الرسالة حتى يتم الكتاب ؟ أتراك استجبت لرأي أحد أصدقائك على حد قولك ؟ وهل صحيح أن نشرك الكتاب كله في الرسالة القراء يفقده كثيراً من بهجته وجدته حين تخرجه للناس كتابا كاملا بين دفتين ؟ وهل كان يقلل مثلا الزيات في كتبه التي كان ينشرها فصولا متتابعة في الرسالة ككتابه « دفاع عن البلاغة » وغيره ؟ وأختتم هذه الرسالة منتهزاً تلك الفرصة الطيبة لأبعث إلى شباة القلم الفذ ، بتحية التقدير والإعجاب والحب .

« السويس » عبد الرحمن

هذا أديب آخر لم يشأ أن يذكر اسمه ، وآثر ـ كما فعل أخ له من قبل ـ أن يختفي وراء قناع . وما قلته لأديب الأمس أحب أن أقوله لأديب اليوم ، وهو أنني أفضل أن ألتقي بالأصدقاء الأوفياء في وضح النهار .. أما أديب الأمس الذي نشرت كلمته في العدد (٩٠٣) من الرسالة فقد عاد على حقيقته في العدد الذي يليه ، وأعني به العدد الذي صدر منذ سبعة أيام . لقد ظهر هذا الصديق في صفحة الشعر وعرفته هذه الصفحة قبل ذلك مرات ... أليس القارئ (ع . ع . ص) الذي كتب إلي من « طوطا » مدافعاً عن القراء ، هو الأستاذ عبد الرحيم عثمان صارو الذي طالعنا بقصيدته « زيارة الحي » في العدد الماضي من الرسالة ؟ لقد أدهشني هذا الشاعر الصديق بروعة وفائه ، ثم عاد مرة أخرى فأدهشني رقة شعره ، ومن حقه علي أن أذكر له هذه النغم الجمالية التي يشرف بها الخلق والفن .. ولا بأس من أن آخذ عليه قوله :

في حضنها دمية ، حنها	من الأذى ، راحة تنار
قد لفها بخشن حديد	لم يبق منه إلا الصدار
منقضة السن في حماها	طاب لها قربها الجوار
دميتها ! قد مضى جراحها	له على الأنفس الخيار

ترجعي لي ، والأم أصغي
كيف انقضى ذلك النهار !

إبراهيم العريضي

وزعرتاى الأدبية !

بعد هذا أقول للأديب اليوم بعد شكره على كريم تقديره إننا هنا لا نمن على المواهب بالذكر ولا نبخل على أصحابها بالتشجيع ، لأننا نؤمن كل الإيمان بأن كلمة تقال أو صدراً يرحب أو يداً تمد ، يمكن أن تخرج الكنوز من باطن الأرض وتفجر الينابيع من أعماق الصخر ، وتحيل صحارى الفكر إلى جنان وريقة الظلال مياحة الغصون .. وليس في هذا الصنيع إن نحن أقدمنا عليه شيء من الفضل ، ولكنه الواجب الذي تفرضه علينا كرامة العقل ورسالة الذوق وديمقراطية الأدب ! إننا ننكر هذه الأرستقراطية الأدبية التي تعترض طريق المواهب حين لا يسطع من ورائها شعاع اسم كبير ، لأننا ندين بهذه الكلمة الصادقة التي تقول لك : لا تنظر إلى من قال ، ولكن انظر إلى ما قال .. إننا لا نلتفت إلى ضخامة الاسم بقدر ما نلتفت إلى ضخامة العقل ، ولا نعترف بسعة الشهرة بقدر ما نعترف بسعة الأفق ، ولا نهتم بعلو المكانة بقدر ما نهتم بعلو الثقافة ، ولا نحفل بكمال الصيت بقدر ما نحفل بكمال الأداة .. هذا هو مذهبنا الذي نؤمن به ودستورنا الذي نسير عليه ، وعلى أصحاب المواهب أن يطمئنوا إلى أننا أمناء على الحق حرصاء على القيم ، ولن نحيد يوماً عن الطريق .

أقول هذا وأعلم أن هناك كتاباً وشعراء سيواجهوننى بصيحة من العجب وأخرى من الإنكار ، لأنهم بعثوا إلى بفيض من النثر والشعر تخلفت عنه الطارف وصرفت الفكر وأسكتت القلم .. إلى هؤلاء أعتذر ، لأن إنتاجهم الأدبي يعوزه شيء من الصقل وشيء من النضج وأشياء من التجربة والمران . وليس عليهم من بأس إذا ما صبروا إلى قليل من الجهد المثابرة واحتمال متاعب الطريق ليبلغوا من هذا الطريق منتهاه ! كل ما أرجوه ألا يتسرب إلى قلوبهم اليأس ، وألا يتطرق إلى نفوسهم القنوط ، وألا يطفئوا في مجال الطموح تلك الكوى الخفية التي تهب منها رياح الأمل .. الأمل الواثق من القدرة القادرة على الوصول في الغد القريب .

أترك هذا الجانب من الإجابة على الشق الأول من رسالة الأديب الفاضل لأعرج بالتعقيب على الشق الأخير .. وخلاصة هذا التعقيب أن ذلك الكتاب الذي يشير إليه سيكون يوماً بين أيدي القراء ، ولن يصير فتنة النقد وعشاق الأدب أن أرجىء نشر الفصول الباقية إلى حين ، إلى أن تقع عليها أعين الناس كاملة بين دفتين . وليس هناك من سبب لهذا الإرجاء غير ما ذكرت ، وهو أن نشر الكتاب كله على صفحات الرسالة سيغنى القراء عن اقتنائه ويعفيهم من مشقة السعى إليه حيث ينقلونه من ضيافة الرفوف إلى ضيافة العقول !

أما الأستاذ الزيات فقد فعل مثل ما فعلت في هذا الكتاب الذي أومأ إليه الأديب الفاضل وأعنى به « دفاع عن البلاغة » .. وليس من شك في أن وجهتى النظر تلتقيان حول حقيقة واحدة وهي أن نشر الكتاب كاملاً على صفحات المجلات يفقدها عنصر الجدة التي تنشدها عين المتشوق إلى كل جديد ، وجوهر الطرافة التي يلتمسها ذوق المتطلع إلى كل طريف .. ولا حاجة بنا إلى الإفاضة في ذكر ما يلقاه الكتاب من قراء هذا الزمان !!

شعراء في الميزان :

في العدد الماضي من الرسالة كلمة للأديب السوري الفاضل محمد الأرناؤوط ، يختلف فيها معي حول رأيي في شعر الشاعرين : عزيز أباظة وأنور العطار . وجوهر الخلاف أنني وضعت الشاعرين في طبقة واحدة لم يرتضها الأديب الفاضل ، ومضى يرفع من شعر الأول ويغض من شعر الأخير ، أو يدخل شعر أباظة في دائرة « الأداء النفسي » ليخرج منها شعر العطار ! ومما جاء بكلمته في هذا الصدد قوله : « إن شعر العطار فيما أرى ليس في طبقة شعر عزيز أباظة ، ولا يمكن أن يبلغ مستواه . إنه شعر صناعة وألفاظه شعر عبارات مات فيها الجرس ، وصور انطفأت فيها الألوان وخمد البريق ، ومعان أكرهت على السكون بعضها إلى بعض فلم تكد تأتلف ، ولم يكد يأنس شيء منها بشيء .. إنه عمل ذهني وجهد لغوي ، لا يمت إلى شعر « الأداء النفسي » بصلة ، ولا كذلك شعر عزيز أباظة » !

من هذه الكلمات يتبين للقراء أن الأديب السوري يريد أن يجرد شعر العطار من كل ما يمسكه في عالم الشعر .. إلى هنا وأقف قليلاً لأقول له : إنني لا أحب للملكة الناقدة أن تنزلق إلى طريق التجني وأن تندفع إلى سبيل الغلو ، لأن كليهما يطمس الحقائق الفنية ويوحى إلى الأذهان بأن الأهواء وحدها هي التي تقود الرأي وتوجه الأحكام !

إنني حين قلت إن هناك لونين من الشعر يعجبني أحدهما

ويهزك الآخر ، لم أشأ أن أخرج اللون الأول – ومنه شعر العطار من دائرة « الأداء النفسي » لأن ومضات هذا الأداء منبثة في شعر هذا الشاعر بمقدار ، ومعنى هذا أن وجودها نسبة مبثوثة أمر لاشك فيه . وعلى مدار هذه النسبة الخفية لتلك الومضات ، أعني على مدار ما فيها من القوة والضعف أو من الزيادة والنقص في شعر العطار وكل شعر ، يتحدد المعنى الذي قصدت إليه حين قلت إن هنالك شاعراً يعجبني بأدائه وآخر يهزني بهذا الأداء !

وإذا كنت قد قلت إن شعر العطار من ذلك اللون الذي يعجب ولا يطرب ، فأرجو أن يفهم القراء أني أتحدث عن هذا الشاعر منسوباً إلى كل شعره وليس إلى بعض القصائد أو بعض الأبيات ، أعني أن الحكم الذي أصدرته كان حكماً منصباً على الشاعر في مجموعه ، وهكذا يجب أن تكون كل الأحكام .. إن قصيدة « الشاعر » للعطار مثلاً لا تهزني ، وكذلك لا يهزني الكثير من شعره ، ومع ذلك فإن إعجابي الذي لا يخلو من لفتات الشعرية الخالقة في بعض الأحيان . ولكن العبرة كما قلت هي أن ننظر إلى الشاعر في جملته ، أعني أن نربط هذه النظرة بملكته الشعرية العامة لا الخاصة ، وأن نركزها على طاقته الفنية التي تمدها الكليات لا الجزئيات ؟

هذا الميزان الذي أقيمه هنا بالنسبة إلى شعر العطار ، هو نفس الميزان الذي أقمته بالنسبة إلى شعر عزيز أباظة ، وهو بعينه الذي دفعني إلى شيء من التحفظ وأنا أصدر الحكم على شاعرية يوسف حداد ، في نطاق هذه القصيدة الوحيدة التي لم أقرأ له غيرها من قبل .. وليس هناك شيء من التراجع أو شيء من التحول نحو إعجابي الذي لا يحد بقصيدة الشاعر اللبناني كما خيل إلى الأديب الفاضل ، ولكنه الحرص البالغ على أن تكون الأحكام النقدية العامة على شاعرية الشعراء مرتكزة على الانتاج العام !

ولا يمكن بحال أن أوافق الأديب السوري على مجموعة آرائه في شعر العطار ، لأن من هذه الآراء مالا يتفق مع الواقع كقوله إنه شعر صناعة وألفاظ ، أو شعر عبارات مات فيها الجرس ، وصور انطفأت فيها الألوان وخمد البريق .. لا يا صديقي ! إن أنور العطار من أملى الشعراء جرساً ومن أكثرهم لمعان صور وإشعاع بريق ، ولا أستطيع أبداً أن أضمه إلى قائمة الشعراء المصنوعين .. إنه في رأيي ورأي الحق شاعر مطبوع . كل ما ينقصه هو أن يتخلص من هذه القوالب الكلاسيكية التي يصب فيها شعره في كثير من الأحيان ، وأن يعنى بعض العناية بعمق الرؤية الشعرية في ألفاظه ومعانيه ، وأن يوجه عنايته بملكة المراقبة النفسية أكثر من اهتمامه بملكة المراقبة الحسية .. وما أقوله هنا عنه يمكن أن أقوله عن عزيز أباظة !

لحظات في دار الكتب :

لحظات لم أقضها في القراءة والاطلاع ، وإنما قضيتها في زيارة وصحبة الأستاذ أحمد رامي .. ولعل القراء يذكرون موقفي من الأستاذ الفاضل في عدد مضى من الرسالة ، ويعجبون كيف تم هذا اللقاء بيني وبينه بعد ذلك الذي كان !

الحق أنها كانت لحظات حافلة بالعجب عامرة بالطرافة ... ومصدر العجب فيها هو أن نلتقي وجهاً لوجه ، ويكرم الرجل وفادتي ويهش لمقدمي على الرغم من تلك الحملة القاسية التي شننتها عليه منذ أسابيع . ومرد الطرافة فيها إلى أن رامي لم يكن يعرف شيئاً من ذلك الزائر الغريب ، سوى أنه مندوب وحي به كتوره له حسين بك وزير المعارف ... ومن هنا أصر على الا أبرح مكتبه حتى أتناول فنجاناً من القهوة ، تحية وترحيباً ومودة !

إني أكتب هذه الكلمة لأقدم من طريقها أخلص الشكر للأستاذ أحمد رامي وكيل دار الكتب المصرية ، على كريم شمائله وجميل حفاوته .. وأشهد أنه كان نفحة من نفحات الذوق حين أمر بإنجاز ما جئت من أجله في يومين وكان مقدراً له أن ينجز في أيام .. أشكره هنا على صفحات الرسالة لأنه لم يكن في طوقي أن أشكره في دار الكتب .. أقصد أنه لم يكن في استطاعتي أن أقدم إليه شكر صاحب « التعقيبات » ، وإنما الذي أمكنني أن أقدمه إليه في ذلك اللقاء .. هو شكر مندوب وزير المعارف !

ترى ما الذي سيقوله الأستاذ أحمد رامي نفسه بعد أن يطلع على هذه الكلمة ؟ ليس من شك في أنها ستكون مفاجأة له ، ومفاجأة طريفة .. أتراه سيحس شيئاً من الأسف على كريم شمائله وجميل حفاوته ، وذلك الفنجان من القهوة الذي قدمه إلى دون أن ... ؟ الجواب في بطن الشاعر !!

سهو من الذاكرة :

طالع القراء في العدد الماضي من هذه المجلة حديثاً موجهاً من كاتب هذه الخواطر إلى معالي وزير المعارف في العراق

ومن المؤسف أن يجمع الذاكرة بين وزيرين مصريين ثم تسهو عن ذكر أحدهما لتثبت ذكر الآخر، في مجال يقتضي أن يحل الوزير المنسو بالذكر محل صاحبه الذي ورد اسمه في الحديث رأسي به عن باشا. أما ذلك الوزير المصري الذي كان يجب إثبات اسمه في معرض العطف على شاعر النيل حافظ ابراهيم، فهو حشمت باشا وليس محمد عبده إلى القراء أولا والتاريخ ثانيا أقدم أخلص الأسف وأحق الاعتذار.

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

بين التعليم والثقافة

تناولت «مشكلة القراءة» في عدد مضى من «الرسالة» فنظرت في أهم أسبابها، وهو طريقة التعليم عندنا وملابساته، من حيث المناهج المزدحمة والامتحانات التي تتجه إلى الذاكرة ولا تكاد تهم الإدراك، وإرهاق التلاميذ والمدرسين، فكل ذلك كما قلت «ينغص الكتاب، إذ لا يكاد التلميذ ينتهي من (سخرة) الامتحان حتى يلقي بالكتب وهو يشعر بالسعادة لتخلصه منها، ويمتد المكتاب المدرسي يجره إلى بغض جنس الكتاب، فلا مكان إذن لحب القراءة من نفسه».

قلت ذلك، وقلت أيضاً «من أكبر الخطر أن المشكلة واقعة أيضاً بين المدرسين أنفسهم .. أولئك الذين يرتجى منهم أن يبثوا حب القراءة والاطلاع في نفوس الطلاب، لأنهم أيضاً ضحية هذا النظام الدرسي ... الخ»(1) وحين قلت هذا وذاك لم تكن تتبين لي جهود الرجل العظيم طه حسين في وزارة المعارف التي يبذلها في تيسير التعليم وتعميمه وإنصاف المعلمين وبث الطمأنينة في نفوسهم. والحق أني كلما تناولت مشكلة ثقافية لا أكتب من نوازع التقصير شيئاً يغالبني شعور الإشفاق على ذلك الرجل لما ينهض به من أعباء، أثقلها الإهمال والهوان في الزمن الماضي، وأشعر في الوقت نفسه أن تلك المسائل الثقافية غير خافية عليه، ولعله يتحين لها الفرصة بعد الفراغ من إنصاف المظلومين وإتاحة فرص التعليم لجميع المواطنين. وقد لمحت بارقة من ذلك في خطبته التي تحدث بها إلى المعلمين في الحفلة التي كرموه بها في الوزارة، إذ قال إنه يود أن يرى المعلم ينتفع بالعلم قبل الطلاب. ثم رأيتني هذا النبت الذي أظهر في حديثه إلى مندوب الأهرام الأستاذ محمود العزب موسى الذي أثار كامن نفسه عندما سأله عما أعده من مشروعات للنهوض بالتعليم بعد الفراغ من التوسع في قبول التلاميذ والتوسعة على رجال التعليم. وقد كان الأستاذ العزب موفقاً كل التوفيق في هذه الإثارة التي حدد نقطها، وكان منها «قصة الامتحانات ومستقبل الثقافة في البلاد».

لقد كان الحديث حديث أستاذنا وزميلنا الأديب الناقد الدكتور طه حسين بك .. إذ حمل على ما تفيده وزارة المعارف من سخافة في الامتحانات وما تجره بذلك من تبغيض التعليم وتنفيرهم من العلم والتعليم، قال، بعد أن بين ما يلاقيه من جهد في تحصيل النظام ولقاء الآلاف من المظلومين وأصحاب الحاجات، وبعد أن ذكر ما أخذ به من تيسير المناهج لتكون أدنى إلى عقول التلاميذ وقلوبهم ... وذكر في محنة الامتحان، «فسترى أنها العلة التي لا يستقيم معها التعليم ولابد من أن نصل إلى علاج مصر منها، فالتلاميذ يعملون ليمتحنوا آخر العام، والأساتذة يعملون لينجح تلاميذهم في آخر العام، ويصبح الامتحان هو الغاية الأولى التي أنشئت المدارس والمعاهد من أجلها .. وما أعرف أن بلداً وصل من السخف إلى مثل ما وصلنا إليه في أمر الامتحانات. امتحانات الثقل يشقى بها التلميذ من أول يوم في العام الدراسي: أسرته تشعره دائماً بأن عليه أن ينجح، وأساتذته يشعرونه دائماً بأن عليه أن ينجح، فيشغله النجاح من وقته ما يلقى إليه من الدرس، وينسى ذاكرته، ويعطي عقله وقلبه إجازة أثناء العام الدراسي».

وقال: «والامتحان العام نفسه نقدم عليه كأنما نقدم على عمل مقدس يجب أن تبذل له هدنة في نفوسنا، وفي مظاهر حياتنا نفسها، ثم نتخذه تقليداً لاحد له» ثم رد على من يظنون أن تقليد الامتحان هو الوسيلة الوحيدة لرفع مستوى التعليم بقوله: «فحقيقة الامتحان إن أدى إلى شيء فإنما يؤدي إلى تكوين المواطن الآلي الذي لا يفكر ولا يحس، وإنما يحفظ ما يلقى عليه، ثم يؤديه كما حفظه، ثم ينجح فيصبح مواطناً عقيماً، أو يرسب فيصبح كلا على المدرسة، فإن طرد من ورثه أصبح كلا على الشعب. إن الذين

(1) العدد ٩٠١ من الرسالة

(1) أهرام الخميس ٢٦ أكتوبر

يرجون أن يرفعوا مستوى التعليم حقاً ، يجب أن يحببوا إلى التلاميذ لا أن يبغضوه إليهم . إن كنت تريد أن ترفع مستوى التعليم فاجعل أموره ميسرة ، يقبل عليها التلاميذ عن حب لها ورغبة فيها ، ويحسون الوحشة حين ينصرفون عنها في الإجازات . كل هذه أمور لا بد من التفكير فيها والفراغ لها ، وقد عرضت لبعضها ، وأرجو أن يتاح لي تحقيق ما أريد منها » .

وهكذا تجد الرجل مشغولا بما كنا نسأله من مواجهته به ومطالبته بتحقيقه ، يشاركنا الاستياء والانتظار ، ويؤلمه أن ساله يجد الجهود وحشد الحشود ووزع الأعطيات ونظم الأرزاق ، ولكن بقي (التكنيك) بقي أن يوجه التعليم إلى غايته ، بقي أن يوفق بين التعليم وبين الثقافة ، وينهي الخصام الذي لا يزال قائما بينهما منذ قرن التعليم » ولست أدري ما فائدة التعليم إذا لم يفتح أبواب المعرفة أمام المتعلم ويغرس في نفسه حب التزود ومداومة الاطلاع .

لقد أفسدت الطريقة الآلية في التعليم ، هذا الجيل ، وجعلت التعليم المدرسي غاية في ذاته ، لم يتخذ — كما ينبغي — سببا إلى التثقيف الذاتي الذي يأخذ به المتعلم نفسه ويكمل نقصه ، فيشعر أنه طول عمره محتاج إلى وجبات الثقافة كما هو محتاج إلى وجبات الطعام . وإنه ليسيك البحث عن المثقفين الحقيقيين بين الحاملين الذين اجتازوا الامتحانات وظفروا بالشهادات ، إذ لا تجد من أولئك غير أفراد يهمنا منهم دلالة التعليم مثل المثقفين في مصر كمثل الفرق الرياضية فيها ، قلة ممتازة تفصلها عن الكثرة الغالبة هوة بعيدة القرار .

لقد ضاع جزء كبير من أعمارنا في حفظ أشياء لا قيمة لها ، ولقد عثروا عنوانا في سواد لم نجد لها أي أثر في حياتنا بعد التخرج ، ولقد كان بعضنا لها دائما إلى تسمد نسيانها بعد .. ويقولون إن الطالب في مصر يحصل على ورقة الطلاق من العلم بحصوله على الشهادة ، ومن الإنصاف أن نقول أيضا : بعض المتعلمين يحصل على ورقة الطلاق من السخافات يفكاكه من التعليم المدرسي ..

والتعليم عندنا يفترض في كل إنسان قوة الحفظ ويفرض عليه أن يحفظ ، فإن كان كذلك حفظ ووعى ما تمتلئ به المناهج من سخافات ، برز وتقدم ونال أعلى الدرجات وأكبر التقديرات ، وفضل في الوظائف وأرسل في البعثات ، وتكون النتيجة أن يلي الأمور هؤلاء الآليون .

كشكول الأسبوع

□ أبحر من ميناء الإسكندرية يوم الاثنين الماضي معالي الدكتور طه حسين بك وزير المعارف قاصدا إلى إسبانيا ، لافتتاح معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، وسيقضي معاليه في منصف نوفمبر إلى لندن تلبية لدعوة وزير المعارف هناك ودعوة المجلس البريطاني ، لزيارة انجلترا .

□ يتبادر إلى بعض الأذهان أن الغرض من المعهد السابق الذكر تدريس العلوم الدينية هناك ، والواقع أن المقصود منه دراسة الآثار والفنون والآداب الأندلسية بإسبانيا ، وسيكون طائفة من الخريجين المصريين الذين ينتمون إليه ، إلى من يرغب في الانضمام اليوم من إسبانيا .

□ تحدث سعادة الدكتور عبد الوهاب عزام بك سفير مصر الجديد في الباكستان إلى مندوب الأهرام ، فقال إنه سبق بمباحثة تداول الأساتذة والطلبة بين البلدين ومضاعفة عدد الكتب العربية في الباكستان وهي متعطشة إليها كثيرا ، وقال إنه تحدث مع رفعة رئيس الوزراء في إلغاء القيود المفروضة على تصدير الكتب من مصر إلى البلاد العربية والإسلامية على السواء .

□ يذاع اليوم في الإذاعة العربية من كراتشي كما يلي : التعليق على الأخبار ، ابن بطوطة يبحث سراً ظلوف المواقد ، وجري وجوي ، ومثل هذا سائر الأيام . فهل أنشأت الباكستان إذاعتها العربية لمثل هذا ؟؟

□ كان الأستاذ محمد مصطفى حمام يسير مع الشاعر الفكه المرحوم حسين شفيق المصري ، وينشده قصيدة لإيليا أبي ماضي ، وكلما أنشد بيتا عارضه شفيق تمسكا على طريقته الفكاهية ، فروى حمام لإيليا مثلا :

أحكم الناس في الحياة أناس عللوها فأحسنوا التعليلا

فيقول شفيق :

أوكل الناس الخيار أناس خللوه فأحسنوا التخليلا

ثم انتقل حمام إلى مدح شفيق مرتجلا ، إلى أن قال :

أنا لا أوليك مدحا أنا لا أحصي ثناءك

وكانا قد بلغا منزل شفيق في وقت متأخر من الليل ، فرد عليه قائلا :

وأنا تعبان جدا أسعد الله مساءك

والآن سافر أولئك المبعوثون وجاءوا ، لم يفيدوا شيئاً ، لأنهم ذهبوا بعقولهم الآلية وعاداتها ، حفظوا شيئاً هناك لمجرد الحفظ ، لم ينتفعوا به في بحث ومقارنة وتعمق . وهاهم أولاء مازالوا يشكون من عقم التعليم على الرغم من كثرة من أوفدنا إلى أوربا لدراسة التربية والتعليم !

إن العلة كلها تنحصر في البرزخ المكاني بين التعليم المدرسي وبين الثقافة العامة . واليوم الذي يزال فيه هذا البرزخ هو اليوم الذي يقال فيه إن التعليم يؤتي ثمراته ويؤدي إلى غايته .

إلى فضيلة شيخ الأزهر :

لم تنقطع عني رسائل طلبة الأزهر منذ كتبت في « موضوع الكتب التي تدرس في الأزهر » وهي تدور حول الرغبة في مواصلة الكتابة في هذا الموضوع والإهابة بالمسئولين أن يهتموا بإصلاح هذه الناحية في الدراسة الأزهرية ، ويحسن بصموم الطن أو يتوى أمله في أن يصنع كل شيء ولن ما يكتب الكاتبون .

والآن وقد تولى مشيخة الأزهر شيخ جديد هو فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم ، فطبيعي أن تتجه إليه الآمال لينتقل بالأزهر خطوة جديدة في سبيل تأدية رسالته ، وهذا هو الطالب الأديب « عبد الصبور السيد المندور بالمعهد الديني بشبين الكوم » يرجو أن يفسح له المجال من « الرسالة » في الشيخ الأكبر ، يقول :

« سيدي شيخ الأزهر - لقد استبشرنا باختيارك اناء فرحيا بقسمك ، وأملا سهمك الذي نرجو الله أن يجعله ميمونا سعيدا على الإسلام والأزهر . نتوجه إلى فضيلتكم فنضع بين يديكم ما يأتي :

١ - اتعدونا الجميع بإزالة الكتب المقررة في المعاهد الدينية لعدم صلاحها حالة وإبدال أخرى بها تكون ملائمة للعصر الذي نعيش فيه ، فهل ستبعث فضيلتكم هذا الموضوع الشائك الذي من أجله شرد الكثيرون وبحت أصوات الباقين ؟

٢ - لقد آمنت وزارة المعارف بالحكمة القائلة « العقل السليم في الجسم السليم » فأمرت بصرف الغذاء لجميع طلبتها أفلا تأمرون بصرف الغذاء لأبنائكم ؟

٣ - ألا يشعر أبناء وزارة المعارف كتبهم المقررة والأدبية ونحرم نحن طلبة الأزهر ذلك ؟ ألسنا من أبناء الأمة ؟ ألم يصبح التعليم كله بالمجان ؟ فلم هذا الفارق ؟

نسأل الله تعالى أن يجعل تحقيقنا على يديكم بعد أن أشرفنا على الغرق وإنه لتنظرون »

ونحن نستبشر بما صرح به فضيلة الأستاذ الأكبر للصحفيين من أنه معني بدراسة كتب المتقدمين والاستغناء بها عن بعض كتب المتأخرين ، على ما في هذا التصريح من تحفظ قد يقتضيه المنصب الكبير ، ونعده مقدمة لخير كثير نرجو أن تتميز المرحلة الثالثة في إصلاح الأزهر بعد المرحلتين اللتين تمتا على يدي الإمامين عبده والمراغي ، كما سبق أن أوضحت

ولاشك أن الاستغناء بكتب المتقدمين الموضوعية البليغة عن كتب المتأخرين الشكلية المعقدة ، أمر مفيد ، وهو واجب لربط الثقافة الأزهرية والإسلامية على العموم بماضيها ولكن هناك تآليف بأسلوب العصر والتطبيق على مسائل العصر ، حتى أصبح ما يعرفه الجميع أن أساس التعليم - على اختلاف أنواعه - الملاءمة بين ثقافة الدارس وبين حاجات عصره .

وهذا يستلزم أن يكون التأليف الجديد أهم ما تعتمد عليه الدراسة في الأزهر ، وخاصة في المرحلتين الابتدائية والثانوية ، فالنهضة التي ينتظرها الأزهر أو ينتظرها الناس من الأزهر في الوقت الحاضر ، تنحصر في كلمة واحدة هي « التأليف »

ذكرى الزين :

يظهر هذا العدد من « الرسالة » في يوم الذكرى الثالثة للمغفور له الشاعر الزاوية الأستاذ أحمد الزين

ولقد كان الزين شاعراً كبيراً من شعراء العربية المبرزين في هذا العصر ، قرأ له الناس قصائد عدة في الأهرام والرسالة والثقافة ، وكان رحمه الله قد جمع شعره في ديوان مخطوط ، على عزمة أن يطبعه في الفرصة المواتية وتوفي قبل أن تواتيه هذه الفرصة ، وقررت لجنة التأليف والترجمة والنشر ، طبع ديوان الزين ، على أن تقوم بنفقاته وتخصص عن ما يباع منه لليتيم الذي تركه الفقيد .

وهاقد مضت سنوات ولم يخرج الديوان .. لماذا ؟ لأن اللجنة لا تزال تطلبه ممن هو عنده فهل فقدنا الزين وفقدنا ديوانه ؟!

أكتفي اليوم بتحية عاطرة أبعث بها إلى روح فقيدنا الكبير في يوم ذكراه ، وفي الأسبوع القادم إن شاء الله قصة ديوانه الذي يوشك أن يلحق به ...

عباس خضر

البريد الأدبي

هل حققت هيئة الأمم وعودها

احتفلت هيئة الأمم المتحدة ، في الأسبوع الماضي ، بالذكرى الخامسة لتأسيسها ، وقد أنشئت هيئة الأمم في وقت آمنت فيه الدول بضرورة تكوين رابطة دولية ، تعمل على توطيد دعائم الأمن ، ونشر ألوية السلام ، بفض ما عساه أن يقوم بين الدول من نزاع ، لتجنب العالم ويلات الحروب وشرورها ... واختارت هيئة الأمم لها علماً خاصاً ، يرمز إلى مهمتها ، يتوسطه غصنان ممتدان من أغصان الزيتون ، يحتضنان الكرة الأرضية .. فهل حققت هيئة الأمم وعودها ؟! ..

هل استطاعت هيئة الأمم أن توطد دعائم السلم ، وتنشر ألوية السلام ، فتجنب العالم شرور الحرب وويلاتها ؟!...

هل استطاعت هيئة الأمم أن تعالج المشاكل التي عرضت عليها ، من الدول الشاكية إلى أمرها ، علاجاً حاسماً ؟!...

هل استطاعت هيئة الأمم أن تنصف الدول « الصغرى » من الدول « الكبرى » .. وتصون حقوقها .. وتذود عن حريتها ؟!

هل استطاعت هيئة الأمم أن تكفل حريات الشعوب التي لاذت بساحتها ، في ساعة العسرة ، تستجير .. وتستغيث ؟! ..

هل استطاعت هيئة الأمم أن تخفف من غلواء السياسة ، تلك السياسة البغيضة التي يحاربها الأحرار .. سياسة الاستعمار ؟!!

هل استطاعت هيئة الأمم أن تأخذ بيد الضعيف حتى ترد إليه حقه المسلوب .. وتقف في وجه القوي ، وترد عدوانه ؟!

هل استطاعت هيئة الأمم أن تعدل بين الأمم ، يوم لاذت بها فلسطين والدماء تنزف منها .. ويوم عرضت عليها مصر قضيتها العادلة ؟! ..

هل استطاعت هيئة الأمم أن تحقق العدالة يوم قررت تقسيم فلسطين .. وتمزيقها .. ويوم أعرضت عن سماع شكوانا ؟! ...

إذن .. ماذا فعلت هيئة الأمم ، في تلك السنوات الخمس ؟! لقد عقدنا عليها الآمال ، يوم تبوأ مقعده في سلوف أمنا بها فإذا بآمالنا كنسج العنكبوت .. وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت !

وما كادت « كوريا » تنادي ، حتى لبت هيئة الأمم النداء ، وراحت تمد لها المعدات ، وتسير لها الجيوش من مختلف الأقطار ، وزلزلت الأرض زلزالها ، وقالت ما لها وقعدت ! ..

وهكذا تكيل هيئة الأمم بكيلين — فهل بهذا تحقق العدالة الدولية أيها الساسة العباقرة ؟! ...

إنكم تعيدون علينا قصة « عصبة الأمم » البائدة ... لا طيب الله لها ثرى ! ...

ومن عجب أن بعض هيئاتنا قد ساهمت في الاحتفال بذكرى تأسيس تلك الهيئة التي خذلتنا — فيم هذا الاحتفال يا سادة ؟!

أتساهمون في تكريم هيئة تصامت عن سماع صوتكم ، يوم تقدم بها ، رق أراديكم قضية لم يشهد التاريخ لها مثيلا ؟! ..

أتساهمون في تكريم هيئة مزقت وحدة العرب ، وقسمت وطنهم ، وأخرجتهم من ديارهم وأموالهم بغير حق .. فهاموا على وجوههم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ؟! ..

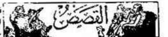
أتساهمون في تكريم هيئة إن تمسسكم حسنة تسؤها ، وإن تصبكم مصيبة تفرح بها ، وتريد بكم العسر ولا تريد بكم اليسر ؟!

أتساهمون في تكريم هيئة لا تكرمكم .. ولا تحفل بكم .. ما لكم كيف تحكمون ؟! — أف لكم ، ولما تكرمون ؟! ..

إننا لا نستطيع أن نحتفل بذكرى هيئة الأمم إلا إذا أقامت لنا الدليل القاطع على حسن نواياها .. وأكدت بالعمل لا بالقول أنها جديرة بأن نحتفل بذكراها ، ونشيد بمآثرها ، وصنيعها ! ...

وإلى أن تحقق هيئة الأمم وعودها ، نرجو لها التوفيق ، وندعو لها بالخير ، لتعمل على توطيد دعائم السلم ، ونشر ألوية السلام ! ...

عيسى متولي



الشجاع ..!

للاديب كارنيك جورج

ما إن استلقى على سريره ووضع رأسه على الوسادة ، حتى انتبه إلى حركة غريبة في الغرفة التي ينام فيها وحده ! ما معنى تلك الحركة ؟ وما هو تفسيرها ؟ وتوقف تفكيره . بل إنه جاهد حتى أوقفه عند هذا الحد خوف الوصول إلى التفسير الذي لا يقبل الشك . وكان يجاهد أيضاً في أن يهدئ من روعه ، وأن يخفف من خفقان قلبه .. خشية افتضاح أمره عند من يشاركه الغرفة في تلك الساعة الرهيبة ! ... وبكثير من الحيطة حول عينيه يبحث عن مصدر تلك الحركة ، وعندئذ ارتاح إلى أنه لم يطلق النور بعد

وقت أنظاره على صوان ملابسه فقال لا بد أن اللص فيه .. فازدادت رهبته ، لكنه اطمأن قليلاً إذ تبين موقع اللص منه ، ولم يلبث أن انتبه إلى نفس الحركة وهي تصدر من مكان آخر . فالتفت التفاتة غريزية سريعة ، فلمح على الأرض ، عند طرف السرير ، شيئاً يتحرك ! فما أنعم النظر تبين أنه غطاء فراشه الملقى على البساط شأنه في كل يوم . ومن حسن حظه أنه لم يلتفت إليه عند ما استلقى ، فلو أنه وطئ لدهمه ليندر به . ولحات الناجمة .. التي لا يمكنه تصورها . فاللص الذي كان في الغرفة قبل دخوله إليها قد اختفى ، اختفى تحت الغطاء بمجرد أن سمع وقع خطواته في الدهليز ! يا للهول ، كيف لم ينتبه إلى ذلك أول ما دخل ! ليته تأخر هذه الليلة ، وترك اللص الحرية كي يسرق ما يشاء . فذلك أهون من أن يحتبس معه داخل غرفة ضيقة ! !

ظل يرتعش . فخشب جسده والتصق بالسرير ، وظل حائراً وجلاً لا يدري كيف النجاة من هذا الشر الذي تربص له في غرفته الأمينة وضاق صدره حتى خيل إليه أنه يختنق ، كما لو أن اللص قد أخذ دفة الغرفة بطريقة سامة . لكنه مع ذلك ظل جامداً لا يتحرك ، وبقيت أنظاره وجلة مترقبة ، ترمق ذلك الغطاء المطوى ، أخطر ما كان ينتظر . !

بيد أن الحركة لم تتكرر ، فاطمأن .. وزال عنه بعض الخوف :

- هذا لا يليق ، الأولى أن أنقض عليه ، وأشبعه ضرباً ووكلا ، حتى يعجز عن المقاومة فيستسلم . فأوثقه بالحبال ، ثم أخرج فأدعو أهلي ، وأدعو كافة الجيران .. قبل أن تأتي (سبيعة) مع ابنتها نجوى . ليطلعا على فعلي ، وقد تتأكد نجوى من أنني بطل ، لا كما توهمت ، فسخرت مني عندما نبح أحد الكلاب الضالة على بشدة فأرت بالهرب ، وجئت إلى البيت ، فإذا بقهقهات ساخرة تتراى إلى أذني فارتعشت أكثر مما ارتعشت عند نباح الكلب . فقد عرفت صاحبة القهقهة الساخرة .. إنها نجوى بالذات فرأيت أن لا يجب أن أواجه وأتوذ بالموت ، وأبدو أمامها كالوجل من نباح كلب حقير ، فانتظرت برهة لأجمع رباطة جأشي ، ثم دفعت الباب وخرجت ، أتلمت يمنة ويسرة ، فصرخت نجوى من نافذتها التي تشرف على (الحوش) « لمس فقد ذهب الاسد » فضحكوا ثم صفقوا مجاراتها ، ووددت لو أنني ما خرجت تلك الساعة ، ولا صادفني ذلك الكلب ، ولا كانت نجوى في شرفتها .. ! والله لو أني تنبأت بما سيقع ، أو علمت أن نجوى تراقبني ، لما تراجعت ولما ذعرت حتى لو قابلني أسد جائع لا كلب ضال .

« .. تلك الفتاة المغرورة الساخرة ، ستتعجب لي إذ تراني أوثقت اللص بالحبال . سأطلعه على وجهها فوق أمامها ، كي تتغير رأيها بي ، وتدرك أنني بطل حقاً ، وأنني أستحق الإعجاب منها ، كبقية الأبطال الذين تعجب بهم وهي لم ترهم ، أولهم « أرسين لوبين » هذا اللص الغريب الذي تأتي إليها من خلال سطور الروايات فيسلب عقلها في حين أنني ما فتئت أحاول جذب نظرها إلي . نظرها الجدي وتأبى هي إلا أن تنظر إلي بسخرية ، ويأبى القدر إلا أن يمد سخريتها حادثة مضحكة ، كحادثة الكلب ، وحادثة الدراجة ، وحادثة أولاد الحارة الصغار ..

« كتماثيل سخرية ، فإني لا أستحق سوى الإعجاب . إن هذه الفتاة المغرورة سوف تراني إلى جانب آرسين لوبين عملاقا ! إذ أنه يطالعها من خلال الأكاذيب ، في حين أني أطالعها الآن من خلال حقائق ثابتة . ! من قال إن ذلك الأجنبي على من الدهاء والقوة أكثر مما أملك ؟ هيه ، إني لأقوى منه ، إني لأدهى منه ، وسأثير اهتمام نجوى وأملك مشاعرها بمجرد أن أوثق هذا الدخيل القذر الخائف . وهو خائف بلا شك ، وإلا اظهر أمامي من دون غطاء . وعلي أن أنتهز الفرصة فأنقض عليه » وبذلك أرفع اسمي ، وترفع نجوى عني لقب « الجبان » الذي منحته لي وتمنحني لقب « الشجاع » . ! ومن ثم سآخذ أسيري إلى أقرب نقطة للشرطة ، ولا شك أن الشرطة سيفترون أفواههم دهشاً ، معجبين بشجاعتي وإقدامي . ولا شك أن كبيرهم سيشد على يدي مهنئا ، ومن يدري لربما أنعم علي بشيء ، بهدية ، أو توسط عند رؤسائي للترفية ، فأنا أستحق كل ذلك . لأني شجاع أولا ، ثم بمهمة وطنية تستلزم التشجيع ! وسوف تنشر الصحف أنبائي وقصتي في صفحاتها الأولى ، كما تنشر صوري أيضاً . . وبعد ذلك يشتهر أمري عند الرجال . . ويشتهر جمالي عند النساء ! فيتدفقن إلي ، ويقبلن علي ، معجبات مغرمات . . ولسوف ترى نجوى كل ذلك ، ولن أهتم بها أبداً ، فأتركها فريسة للغيرة والندم . . »

وشهق شهقة عبرت عن مدى فرحته وابتهاجه بتلك الفكرة ، بيد أن الغطاء الملقى على البساط ما لبث أن تحرك ! فتوقف عن التفكير ، وشابه بعض القلق . . ثم اتجه إلى وجهة أخرى . . :

— انه بدأ يتحرك ، ماأمره ؟ أمله قد فطن إلى ما سيحل به ، فاحتاط مقدما . أليس من الخطورة أن أهجم عليه وليس في الغرفة سوانا ؟ لاريب أنه مسلح بينما أنا أعزل . »

ازعجته هذه الفكرة ، لكنه لم يقدر أن ينحرف عنها ، ليواصل أحلامه الحبيبة ، لأن الغطاء تحرك مرة أخرى .

لاريب أن اللعين يستعد لما سيقع ، فإذا أنا هجمت عليه لاتقاني رأس خنجره قبل أن يلاقيني جسده الرشيق ، أوه هذا مخيف ، رأس خنجره يدخل صدري فيتدفق الدم أحمر قانيا . . حتى تخمد أنفاسي . ثم . . فأموت . . ضحية مكيدة قذرة دبرها لص جبان ! وقد يصبح موتي أيضاً سخرية في فم نجوى . لا . . إنه لا لزوم ، مخيف ، يجب أن أستعد أنا أيضاً . فهذه ساعة خطيرة قد لا أنجو بعدها أمري ويرتفع اسمي . . الأوفق أن . . أن آتي له بسلاح ، بأي سلاح ، بسكين على الأقل ، فالسكين أحسن من لاشيء . ! الأنادر الغرفة ، إلى المطبخ ، فآتي بذلك السكين الكبير المعد لتكسير العظام ! والأجدر أن أدعو كلبنا (جاك) ليساعدني إذا احتجت إلى المساعدة ، إن جاك لكلب شجاع ، فهو بالرغم من منظره وضآلة جسمه ، وبالرغم من أزوائه وصمته يملك قوة خارقة ، ، مثلي تماما . فأنا أيضاً لا ينبئ مظهري وانزوائي عما أملك من قوة وشجاعة . كلانا سيكشف عما يدخر من قوى في هذه الساعة بالذات ، والويل لهذا اللص الغبي الذي لم يحسن اختيار ضحيته ، فوقع في شركي . الويل له . إني سأجرب فيه قوتي وبطشي وأريه من قوتي وبطشي . »

وهنا ألقى نظرة ترقب واحتقار على الغطاء ، وهو ينسل بخفة من فراشه ، ويستوي واقفاً . وقبل أن يستدير للخروج ، تحرك الغطاء ! فجمد في مكانه ، ورأى أنه لو استدار فاللص قد يهجم عليه من الخلف ! فنسيه ألا يتمهل ، وألا يرفع عينيه عنه . ومن ثم استطاع أن ينقل قدمه ببطء شديد ، وخوف شديد . . إلى الوراء خطوة قصيرة ، ثم نقل إليها قدمه الأخرى ، وهكذا استطاع ينسحب من الغرفة دون أن يستدير . وكان الاضطراب قد بلغ منه مبلغاً عظيماً ، بحيث جعله يذهل عما حوله ، وينسى عتبة الباب ، فإذا بقدمه تصطدم بها ، فيتعثر ، فيسقط على وجهه . . ! وفي اللحظة الأخيرة جاهد كي لا يقع على الغطاء الذي اختفى اللص تحته ، وكان أن سقط على كرسي بجانبه ، فمال الكرسي ، ووقع على الغطاء بقوة !! فإذا بصرخة قوية تهز الغرفة . . فقال هو في نفسه « تحدث » ! لكنه لم يمت تماما . فقد تبين أن الصرخة التي أذهلته لا تشابه صراخ إنسان . . إنها تشابه إلى حد بعيد صراخ جاك ، وهنا رأى بعينيه الكلب وهو يثب من تحت الغطاء مذعوراً وهو يعوي . !

العراق — بصرة فرنك جرجيس